

رواية

على بك الكبير

أو

دولة المماليك

تأليف

أحمد شوقي بك

لتناسبة انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية في القاهرة هذا

العام بفضل اهتمام حضرة صاحب الجلالة الملك

قواد الأول

مملت هذه الرواية تحت تصرف اللجنة العليا للمؤتمر لتمريرها

وما اشتملت عليه من القطع الفنية والواقف الملحة على حضرات

المؤتمرين ضمن ما يعرض عليهم من النماذج عن جهود مصر

الحديثة في الفنون الثمينة . التأليف القصصي . والتجميل .

والطهي

احمد شوقي

١٤ مارس سنة ١٩٣٢

تجهيل

(١) زمن الرواية :

حوالي سنة ١٧٧٠ ميلادية

(٢) مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا

(٣) أشخاصها :

علي بك الكبير	حاكم مصر	ويلقب بشيخ البلد
محمد بك ابو الذهب	متبنى علي بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك	
مراد بك	من أتباع علي بك وأولاده	
ضاهر العمر	صاحب حصن عكا وحليف علي بك	
مصطفى اليسرجي	« الجلاب »	

إماء معروضات للبيع

آمال
شمس
زكية

عشاق	شباب شركسى مع الجلاب
ام محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى
رزق الوكيل	وكيل على بك
بشير بك	من أصحاب على بك
عثمان بك	» محمد بك

قائد الأسطول الروسى فى عكا

أمراء

جواسيس

قواد

جنود

فتيات

أغوات

خدم

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

في

قصر على بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة ضخمة على الطراز الشرقى ، مفروشة بنفيس »
« الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفوف وزين سقفها بثريات الزجاج الملون »
« المشكل وركزت في زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة . . »
« جلس هناك في انتظار دخول على بك الكبير مصطفى »
« اليسر حى « الجلاب » ومعه ثلاث فتيات شركسيات « آمال » «
« وشمس » و « زكية » وشاب شركسى اسمه عشاق من جنسهن »
« وقراتهن وام محمود الماشطة »

زكية : يا أمَّ محمودَ تلك دنيا	وهكذا فلتكُ القصورُ
وهكذا شمس في الليالى	تنزل هالاتها البدور
قصرُ سماواته الثريا	وأرضه الوشى والحريرُ
ام محمود : ونحنُ يا شمس نحنُ بؤسُ	بيوتنا الجصُّ والحصيرُ
نُنْقَلُ من حُفْرَةٍ لِلْحَدِيدِ	تساوت الدورُ والقبورُ
شمس : يا أمَّ محمود خبريني	أهنا ينزلُ الأميرُ
ام محمود: أجل	

شمس : ومن ذا وما يُسمّى ؟

أم محمود : سلطان مصر على الكبير

شمس : والطيبُ يا أمُّ لم تسمي

النَّدُّ والمسكُ والعبيرُ

مصطفى : لا تعجبي هم مساوِكُ مصرِ

زكيه : وما الأميرُ يا يسرجي

ماله من العمرُ

مصطفى : قد جاوز الشبابَ الآن

أنه كهلٌ فضر

أم محمود الماشطة :

ما بلدُ العزِّ غيرُ مصرِ

كيف طعمتمُنَّ يا بناتُ

شمس : طعامُ شاهٍ طعامُ عرسٍ

لم يرو أمثالَه الرواةُ

ما القصرُ ما الفرشُ ما الأواني

ما الأكلُ ما الشربُ ما الطهارةُ

مصطفى : هذا هو الملكُ مُلكُ مصرِ

وهكذا الحفظُ والطيباتُ

وأنتِ آمالُ ؟

آمال

خلّاني

ما تلكِ الا خزعبلاتُ

القصرُ كوخى على جبال

جلّ لها الثلجُ والنباتُ

إذا عوى الذئبُ من مكانٍ أجابه الكلبُ والرعاةُ
 زكيه : أجل حنناً للجبالِ الشيبِ وللشتاءِ القارسِ العصيبِ
 وكلُّ راعٍ واقفٍ للذئبِ أمّن خوفَ الحملِ الرعيبِ
 تلمّحه كالعلمِ المنسوبِ والوعيلِ في الجيئةِ والذهوبِ

والديديبات في فم الدروب

مصطفى : مخ مخ مرحى يا كومةَ الشحمِ
 يا جَزَرَ بلوطٍ لكن من اللحمِ
 أم محمود : أعرفتَ يا جلاب أناك جئتَ بالحملِ الثقيلِ
 عن تلك كان لنا غنى ما تلك الا سقط فيل
 مصطفى : يا أمَّ محمودَ اقصدي لكل سـالعةٍ ثمن
 إن سُرّاةَ الناسِ في مصرَ يحبون السِّنْ
 وهذه الكومةُ في مها سِمنٌ لكن حسنٌ

« يسمع آذان العصر بصوت شجى من محراب في دار الامارة فتلتفت »

شمس بأم محمود وتقول :

شمس : ما هذه الرنة في قبة القصر

زكيه : صوت من الجنة يهتف بالعصر

أم محمود : ما زالت السنه والبر في مصر

يا رب أيدها بالعز والنصر

شمس لعشاق:

قم غن يا عشاق أغنية المعاز

وناج بالأشواق أحبة القوقاز

عشاق يغني: كوخ وراء الجبال مكلس بالجليد

فديته لا أبالي بكل قصر ممشيد

ما مرّ يوماً بيالي الا بالمت خدودي

يا منزل القوقاز عيم من بعيد صباحا

لمعت لمعة بازي في الجو سل الجناحا

سلم على المعاز اذا غدا أو راحا

وقل له يا راعي
اسمع على العهد راع
هل أنت للعهد راع
في الناي هات الأنياب
صوتاً من الغائبينا
أم قد تركت الحنينا
« بعد صمت وأطراق من الجميع »

ام محمود للبنات :

تعالين بنات الشرك
س الغيد تعاليننا
زكيه : ولم ؟ ماذا ؟

ام محمود
تعالين
تزكن يدي زيننا
فلا أترك لا شعرا
ولا خدًا ولا عينًا
ام محمود لشمس :

تعالني أيها الشقرا
هلمني اقتربي مني
غداً يأخذك الشاري
وهاتِ شمركِ التبري
وألقي الرأس في حجري
وما تدوين من يشرى
ام محمود لآمال :

تعالني أيها السمرا
أشعر ذاك آمال
فان الخير في السمر
أم الليل إذا يسرى

قضاك الله للوالى أو الحاكم فى مصر
آمال فى غضب :

دعنى مرأة السوء دعنى بومة الشر
قضاك الله للجوع ولاسجن وللقبر
ام محمود لمصطفى :

ياسيدى النحاس هذه ضيع فارجع بها لا تشرها ولا تبمع
الا اذا ساوينا فيها سبع
آمال الى صاحبتها :

قوما اليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا . لا أحب الفضولا

على ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيو لا
شمس : ما الخطب ؟ مِمَّ غَضِبْتَ آمالُ

زكيه : ما بالها ساخطة ما بالُ

أم محمود : غيبة ما عرَفْتَ ما المالُ

مصطفى همساً لشمس :

شمس .

يسرجى

شمس :

أنظري

مصطفى :

آمالُ ماذا غمَّها

فما يُسرِّي غمَّها

وأنتنَّ الغبيَّاتُ

نفوسُ ادميَّاتُ

ميلي اليها وخُذِي

آمال : بل الحقُّ معي وخُذِي

سوامٌ نحنُ أم نحنُ

أم محمود لزيه :

يا محملاً يخطرُ في المدينة

رُزقتِ عمدةً بلا قرينه

يطلبُ منا امرأةً سمينه

آمالَ جدِّ مُغضبة

نائرة مقطَّبة

نفسها المعذَّبة

وأنت يا ضحمة يا بدينه

قومي الى أتبلى لازينه

ثروته في داره دفينه

مصطفى : يا أمَّ محمود أرى

هائجة صاحبة

في وجهها تكاد تبدو

مصطفى لآمال :

وقللي التفكيرا

دعي لي التدبير

آمال بنتي استريحى

لا تحملى همَّ شيء

عسايَ أَغْنَمُ مُلْكًا أو استفيدُ أُمِيرًا
 فتَحْكُمِينِ بِمِصْرٍ وتَنْزِلِينِ الْقُصُورَا
 مُلْكُ الْجَمَالِ كَبِيرٌ زَيْدِيهِ مُلْكًا كَبِيرًا
 صَوْنِي جَمَالَكَ هَذَا عَنْ أَنْ يَعْيشَ فَقِيرًا
 يَا أَبِي مَا تُرِيدُ بِي أَنْتَ تَلْهُو وَتَلْهَبُ
 مَلِكَةً أَوْ أَمِيرَةً أَهْـلَا الْقُبُ
 حُسْمٌ ثُمَّ يَنْقُضِي وَأَمَانِي تَكْذِبُ
 كَيْفَ تَسْمُو إِلَى الْعَلَا ابْنَةُ بَاعَهَا الْأَبُ
 ثُمَّ مَسْتَمِرَّةٌ : أَبِي تَاجِرٌ كَمَا شِئْتَ وَكَيْفَ ارْدَتَ فَاحْتَرَفَ
 وَلَسْكَنَ لَا تَرُمُ نَمْنِي وَلَا فِي هَذِهِ الْغُرْفِ
 فَبِيعُ الْجَنْسِ فَاحْشَةً أَلَيْسَ كَذَلِكَ اعْتَرَفَ
 أَبِي شَرَفٌ عَلَى فَقْرٍ وَلَا فَقْرٌ إِلَى الشَّرَفِ

مصطفى لنفسه :

يَامَالُ مَا فِيكَ مِنْ سَحَرٍ وَمِنْ خَطَرٍ
 لَقَدْ نَزَلَتْ بِنَا عَنْ رَقَبَةِ الْبَشَرِ
 تَاجَرْتُ بِالْجَنْسِ حَتَّى صَارَ مُحْتَقَرًا
 عِنْدَ الشُّعُوبِ وَمَا جَنْسِي بِمُحْتَقَرٍ

ذهبتُ بالشر كس الأسارى أعرضهم

عرض الرعاة صفار الشاء والبقر

لولاك ما بعثُ أطفالي فما كبدي

من الحديد ولا قلبي من الحجر

مصطفى يقبل على آمال :

أنتِ ما تدرين شيئاً

لك في الدنيا تهيأ

والقصر ولا تذكر علياً

بفض الدنيا اليأ

طفلة آمال أنت

ههنا الدنيا وملك

آمال : خل عنك السالك

إن ما تصنع بي قد

د انفسها :

لا يُصنني منهمو ربُّ أحد

والدى لم يخش من بيع الولد

من جناح الأب والأم سنده

أمه الشكل فماتت بالكمد

قد جرت شيعته حتى ابتعد

وأبي من غضب يومى بيد

أهو في الخيل لواله أم وتد

ربُّ جنبني شباب ذال البلد

لى أخ في أرض مصر باعة

ركب الآفاق فرحاً ما له

فجم القرية فيه وسقى

لست أنسى عبراتٍ إره

وهو يومى بيد من رقة

ربُّ ما صار الى أين انتهى

يوسف المسجود في مصر له أم من الجوع ليوسف سجدة
زكيه : وأين بنو السلطان لم لا نراهو
أليس له ابن يفتدى ويروح
يرف الشباب الغض من طيلسانه
وينفخ ريحان الصبا ويفوح
شمس : فلا خير في دار إذا لم يطف بها
لسيم شباب أو شعاع جمال
ولا خير في روض بغير بهارة
ولا خير في قاع بغير غزال
مصطفى : أجل له ابن
شمس : ما اسمه ؟
مصطفى : محمد العالی النسب
شمس : لعله أبو الذهب ؟
زكيه : لله ما أحلى اللقب
ففيه رنة الذهب
مصطفى : متبني الأمير والمتبنون
بهذي البلاد كالأبناء

نعتوه لنا فقالوا أميرٌ أريحى من صفوة الأمراء
 تُفدقُ الألسُنَ المديحَ عليه وتفيضُ الشفاهُ حُسنَ الثناء
 مَلِكٌ سابقٌ إلى كلِّ فضلٍ نابغُ الغرسِ عبقرىُ البناءِ
 ثم مستمراً: وأنت يا أمَّ محمودَ
 أم محمود: محمدٌ ليس برَّاً
 بالأُمسِ عَقٌّ أباهُ
 واليومِ يشهرُ حرباً
 وأما أخوه
 على الأميرِ زبونا

زكيه : كيف مَنْ ؟ هل له أخ ؟
 أم محمود : أجل وهو أيضاً لم يلد له أبوه
 زكيه : اذن فعلى والدُ الناسِ كلِّهم
 وكل شباب الضفتين بنوه
 وكيف الفتى يا أم محمود ما اسمه ؟
 أم محمود : غلامٌ وضيُّ المفرقين جوادُ
 رأيتنَّه مثلى تذكرن ساعةً رأيناه
 شمس : مَنْ ؟ ما اسمُ الأميرِ

مراد

أم محمود :

أم محمود لآمال :

هناك آمالُ ابنتي هناك

آمال . ما ذاك يا أمُّ اذكري ما ذاك

أم محمود : الحظ يا بنتاه قد أعطاك

عُشِقْتُ عَشَقاً سَوْفَ يُرَوَّى فِي السَّيْرِ

عَشَقٌ لَهُ فِي مِصْرَ وَالشَّرْقِ خَطَرُ

وعاشقٌ عَالِي السَّاءِ كَالْقَمَرِ

آمال : يا أمَّ محمودَ هَذِيَّتِ مَا الْخَبَرُ

أم محمود : لَقِيتُ مُرَاداً أَمْسِ

ماذا يهمني ؟

آمال :

أم محمود : عَجِيبٌ أَلَا يَعْنِي النِّسَاءُ مُرَادُ

فَتَى عَلِمَ فِي مِصْرَ فِي الشَّرْقِ كُلُّهُ

نبيلٌ كَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ جَوَادُ

يَحِبُّ عَلِيًّا جَهْدَهُ وَيُحِبُّهُ

عَلَى فَبَيْنَ السَّيِّدِينَ وَدَادُ

كأني به نال الولاية وانتَهتْ
 إليه أمورٌ في غدٍ وبلاد
 يُحبُّك يا آملُ حبًّا مُبرِّحاً
 على مثله ما انضمَّ قطُّ فؤاد

زكية : عرفته

آمال : ومن ؟

زكية : أمس إلى السوقِ حضرَ فتي

ذاك الخفيفُ كالقناة والوحي كالقمر

أتى لنا أمس فما اختصَّ سواك بالنظر

آمال : عرفته ذاك الوقاح في دعا به الهذر

ذاك الذي قلبنا أمس كتقلب الحضر

شمس : وكنت أنت قبلة الـ لحظ وموضع الفكر

أم محمود : وأنت كنت وزكية الحصير المحتقر

آمال : أو ذاك الذي يقولين يهواني

أم محمود : أجل وهو أرفع الناس قدرا

هَيْ هَيْ صَدِّ هُسْ انظُرَا هَا هُوَ ذَا قَدْ حَضَرَ

« يدخل مراد بك »

مراد بك عند الباب لنفسه :

وَيْحَ لِي رَبِّ مَا أَرَى أُمَّ مُحَمَّدٍ وَدَ إِلَهِي وَهَذِهِ آمَالُ

هِيَ فِي الْقَصْرِ كَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْهِ

كَيْفَ وَافَاهُ مُصْطَفَى الْمُحْتَمَلِ

أُتْرَاهَا قَدْ حَازَهَا الْعَلِيُّ جَبَرَ الْجَاهِ وَاحْتَوَاهَا الْمَالُ

كَيْفَ هَلْ بَعْدُ فِي فَوَادِ عَلِيٍّ

مَوْضِعٌ يَحْتَوِي عَلَيْهِ الْجَمَالُ

رَبِّ مَالِي أَهَابُهَا كَمَا قَتُّ وَمَالِي يُرْدُنِي الْإِجْلَالُ

وَأَنَا الذَّنْبُ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ قَلْبِي

مَهَابَةٌ وَلَمْ يُسَيِّطِرْ غَزَالُ

ثم لام محمود ومن معها :

سَلَامٌ أُمَّ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ يَا بُنَيَّاتِي

أُمُّ مُحَمَّدٍ : سَلَامٌ لَكَ مَوْلَايَ

زَكِيَّة : وَعَاوِيُ التَّحِيَّاتِ

مراد بك وبشير الى آمال : أُمُّ مُحَمَّدٍ مَا لَهَا مَا لَتَلَاكِ الْحَبِيبَةُ

أم محمود : ما لها سيدي

مراد بك : انظري كيف تبدو مقطّبة

لقيتني فلم تقم بلقائي مرحّب به

ما لها اليوم مثل عهدي بها أمس مغضّبه

أم محمود : سيدي قد ظلمتها إن بذتي مهذّبه

غير أني وجدتها منذ بدا الصبح متعبه

شمس : معذرة يا سيدي لأختي المعذّبه

نحنُ النهار كله كالسالم المقلّبه

مراد بك : مصطفى

مصطفى في ناحية وحده : سيدي

« لنفسه » ! ذا مراد

ويحّه ما أضلّه فيم جاء

مراد بك : مصطفى هل نسيت أنا التقينا

عند سوق الرقيق أمس مساء

مصطفى : سيدي ما نسيتُ واليوم نستا

نف في حجرة الأمير اللقاء

مراد بك: والتي اخترت من ظبائك

مصطفى : نرجيها الى أن يرى الأميرُ الأطباء

مراد بك: أترى ما تزال تأتي

مصطفى : أجل

مراد بك: ويحك هل يملك الرقيق الإباء

آمال : سيدي من عنيت؟ قل لي بمن عرّضت

مراد بك: أعني المليحة الحسناء

آمال : سيدي إننا حرائر ما زلنا

مراد بك: ولكن غداً تصرن إماء

آمال : وغداً سيدي عليه غطاء

أترى عن غدٍ كشفت الغطاء

مراد بك: قم مصطفى هذه الحسناء تعجبني

أليس يكفيك فيها ألف دينار

مصطفى : ألف؟ قبلت

مراد بك: إذن تأتيك كاملةً

فأخرج بينتك واجملها الى دارى
آمال : أبى . أنت تمضى بى وتحملنى
كالشاة هذا لعمرى أعظم العار

مصطفى : آمال

آمال : قف أنت عبدُ المال يا أبى
تلقى البرىء لأجل المال فى النار
لا سيدى لا أبى لا تذكر ائمناً
فلست مخلوقةً للبائع الشارى

مصطفى لنفسه :

رباه أعظم من وجدى ومن شفقى
على ابنتى اليوم إعجابى وإكبارى
وأنت تعلم والأفعال شاهدة
أن ابنتى حرّة من نسل أحرار
يا ألف سحقاو يا مال أمضى من سبلى

تقطعت منك أسبابى وأوطارى

على بك م - ٢

« ثم لآمال :

آمالٌ هيّ اذكري لي كيف أدفعه

« ثم لنفسه : ماذا أقولُ فإني لستُ بالداري

آمال : أبي أما نحنُ في دار الأميرِ على

إني لجارةٌ حُرٍّ مانعِ الجارِ

لا أبرحُ القصرَ الا عن مشيئته

فحُكْمُهُ هُوَ فيّ النافذُ الجارى

مراد بك : ويح لي قد رُدَّتْ أقبح رَدِّ

وأبتُ أن تُجيبني الحسناء

« مصطفى : سنرى من يفوز بالبنت يا وغدُ

« لآمال : ومن يقتنيك يا حمقاء

« ويخرج مراد بك «

آمال لنفسها :

ما بال قلبي بمِرادٍ مُدَّ تلاقينا اشتغل ؟

لعلني أُحِبُّهُ لا . لا فإلى والرجُل

عسَى قد همتُ به هذا لعمري الخَبَلُ

خياله في فكرتي في كل ساعةٍ مثلُ
 مالى أحسنُ لاعتجا بين الجوانح اشتعل
 إن فُتِحَ البابُ يرى أولَ أنسانٍ دَخَلَ
 أو جىءَ بالزاد وجسدهُ بجاني أكل
 وإن شربتُ حَضَرَ الماءَ فعلٌ ونَهَلَ
 (قد أَخَذَتْ صورتهُ على مشاعري السُّبُلِ)
 وحيثُ سرتُ طاف بي وأينما حلتُ حلُ

ام محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبوابَ قد فُتِحَتْ وأستمعُ وقعَ أقدامِ
 مصطفى : علىَّ جاء قُمنَ له بأجلالٍ وإعظامِ

يدخل على بك وفي حاشيته رزق الوكيل . . الاغا مرجان ، بعض الخدم

على بك : أضعنا نهـ ارك يا مصطفى أطلنا انتظارك لا عن جفا
 مصطفى : بباب الأمير ولى النعم يطيبُ الوقوفُ لأوفى الخدم



على بك :
أضعنا نهارك يا مصطفى
أطلنا انتظارك لا عن جفا

على بك حساً لمصطفى :

يا مصطفى قد بعثني	من سنوات ولدا
مصطفى : أجل صبي كانت من	أذكي الصغار شجدا
على بك : ما أرتبت فيه ساعة	أن سيكون سيديا
مصطفى : عاش أبوه لا أرى	أباه إلا أهدا
على بك : ولكنه لم يدر في البلاد	ولم يعرف الناس حتى فسدا
فسلل الأسماء وهز القنادة	وأصبح عزيريل هذا البلاد
مصطفى : ذاك ذئب لم أبه	حنس غسيري باعه
بئس ما باعوك يا مولاي يا شوم البضاعة	
على بك : وأين البنيات ؟	
مصطفى :	ها هن قد
على بك : تحيّر الحسن قبلي	من وقاراً مولاي في المجلس
« ثم لرق : يا رزق ما أنت راء	فكيف كيف اختياري
رزق الوكيل :	كذا تكون الجواري
ام محمود : بل قل ثلاث شمس	تنزلت في نهـ

على بك مازساً :

من أنت يا شرَّ وجهٍ ومن أهلك داري
 أم محمود : أنا يا مولاي حسنى الماشطه
 لنفسها : آه من لى بحياة ثانيه
 ليتنى يا ليتنى يا ليتنى
 أم محمود تأخذ يد شمس وتأتى بها :

فهذى كاسمها شمس ولكن حُسْنُهَا أَحْسَنُ
 على بك : تعالى الله ما أبهى تعالى الله ما أفتنُ
 « ثم ترجع شمس وتأتى بزكيه »

أم محمود : وهذه زكيه

على بك دمرنا عنها ومثيراً الى آمال :

وهذه الحوريه ؟

أم محمود : مهابة فداها الفيد من شركسية
 لها سيرة عند الملوك تدارُ

إذا برزت ودَّ النهارُ قيعها
 يُغيِّرُ به شمس الضحى فتغارُ

وإني نهضتُ للشئ ودَّ قوامها

نساء طوالٍ حولها وقفا

لما مبسمٌ عاشَ الخليلُ لا جسد

وعاشتْ لآلٍ في الخليلِ صفاء

على بك: ما اسمُ هذى الفتاةِ

آمالُ الحسناءِ

أم محمود:

آمالُ كيف الغيتِ قصرى

على بك لآمال:

ولم لا ألتِ سلطانٍ محمر

آمال: جنةُ الله يا أميرُ على الأرضِ

ما موقفه منك؟

على بك: وهذا الوشى والديباجُ

من الباورِ والسلكِ

وهاتيكِ الحياييجُ

بالصندلِ والمسكِ

وهذا الخشبُ المصنوعُ

والقوقازِ والتركِ

لقد طُفِتِ على فارسَ

والثروةِ والمُلْكِ

وأدخلتِ قصورَ العزِّ

هذا الصنْعُ أو يحكى؟

فهل أبصرتِ ما يشبهُ

شبهتني : وكل ما أبصرت في
 قصري من منيع البلاد
 فليس يمسوا الصانع
 المصري في النوق أخذ
 آمال : لا عجب مولاي يا طالما
 قد بلغ الفن بمصر الكمال
 علي بك : لكن أرى القوقاز أعلى يدا
 آمال : سيدي

سقطني شمس :

حاذري ابنتي قدرى المو
 قف لا يخطر المقوق ببالك
 آمال : لا أبى خلنى أبخ أشاك بشي
 خذل الصبر قلبي المتمالك
 « علي بك : سيدي

علي بك : ما أرى ؟ دموع لآل
 ذهبت في الخلد دشتي المسالك
 سيم تشكين يا ابنتي ما وراء السمع ؟

آمال : لا شيء

علي بك : بيني ما هنالك

آمال : سيدى غيرُ شارنا بك أولى

هذه السوقُ لم تُلَقَّ بِجلائك

تُشترى النفسُ أو تُباع على الأرض ولم يرضَ فى السماء للمالك

مصطفى : قللى الهمَّ يا بنتى والتشكى

وانظرى الحالَ وافكرى بما لك

هذه السوقُ نعمةُ الوطن البائس منها

على بك : ونحن نعلمُ ذلك

أنا أيضاً مررتُ بالسوقِ يا أما

لُ حالى يا بنتُ من مثل حالك

قد وقفنا بهذه السوقِ نبغى دولا من وراءها ومجلائك

وقديماً كانت سبيل المعالى للمالك أو سبيل الممالك

«ستمرأ: لك الله يا آمال أنت كبيرة»

وكلُّ كبير النفس سوف يسود

فداؤك نفسى هذه نفسُ حرة

وهذا إياه ما عليه مزيد

أتيت بما لم يأت فيا مضى لهم
 ملوك على عرش الكنانة حديد
 شرونا وباعونا صغاراً وفتية
 كما بيع سودان بمصر عبيد
 فما كان منا من رأى الرق سبة

ومن قال عند البيع لست أريد
 ثمناً: الخطب غير عظيم
 لا تحزني يا فتاة
 وكل جرح يداوى
 إن عالجته الأساة
 آمال: مولاي قالوا رزقت نفساً
 فضائل الصالحين فيها
 بأي دين تحوز رقي
 وتشتري البنت من أبيها

على بك: أبوك

آمال: أجل والدي

على بك: مصطفى أنت أبوها

مصطفى: أجل سيدي

على بك: ماذا ترى

مصطفى : في يديك الفتاة

تصرف لقد خرجت من يدي

على بك : دع البيع يا مصطفى والشراء

وزوج فتاتك أو فاردك

مصطفى : بمن ؟

على بك : بي

مصطفى : إلهي !

على بك : أجل بي أنا

مصطفى : سمعت فتاتي اشكركه احمدى

آمال : علام أجرته بعد ؟ لا سأعلم ما صاحبي في غد

على بك : لم تقبلي الرق منذ حين

والآن تخشين من زواج

آمال

آمال : مولاي

على بك : هالك قصرى سوسيه بالنبل والفضيله

أم محمود : تحية للملك من أمة في الملك
 مصطفى : أقبل سيرة مولائي
 آمال : أبي أسـتغفر الله
 على بك : وأنت الملكة اليوم
 وحائبها حائل الشم
 وكوني قفل أموال
 ولا يهملك تركي
 فالهـنـم والصيد
 والرفعة والجدر
 آمال : مولاي هاتها يداً
 قد طوقني خير يد
 هات أضع في راحتك قبلاً بلا عـدـد
 مصطفى : يا للجلال والخطر
 من البشير بالخبر
 حظ لعمرى قد كمل
 وكل دارع نزل
 على الشعاب والقمل
 أنا ظفرنا بالأمل

أم محمود : قن بنات الشر كس
 زدن سرور المجلس
 شمس : عشاق ماذا أخرج
 قم لاعب الفيد نرك
 عشاق : غدا يُفقد للوالى
 جبال الشر كس اختالى
 هلموا الفرحة الأكبر
 غدا يمتلئ الوادى
 فمن طالب أفراح
 هلموا الفرحة الأكبر
 غدا ينتهج العصر
 وتجلى الشمس والبدر
 هلموا الفرحة الأكبر
 للهوا رقصة الخنجر
 من الحاضر والبادى
 ومن شاهد أعياد
 هلموا رقصة الخنجر
 وتمسى فرحا مصر
 ويزهو بهما القصر
 هلموا رقصة الخنجر

هناك خارج القصر :

لا زلت منصور القنا
 أطعمتنا سقيتنا
 يا أسد المارك
 يارب زد وبارك

على بك : اسمعوا

رزق : ضحّة

الاغمرجان: أجلّ وابتهاّل رجالٌ بسيدى يهتفون

على بك : من تُرى الهاتفون رزقُ ويامرجانُ أخرج فانظر من الصاخبون

الأغا : عادةً تلك كل يوم خميسٍ عندنا ألفُ جائعٍ يطعمونا

على بك : امض فاجعل في كفّ كل فقير

ذهبا يُطعمون منه البنيينا

نفحةٌ من أميرة النيل مولاتك

آمال : بل منك سيّد الحسينا

رزق : مولاي

على بك : من ؟ أو رزقُ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تهبّ

إن الخزانة أَصْبَحَتْ

بنداك كالجحرِ الحربِ

الفضةُ انقضّت وما

قد كان من ذهبٍ ذهب

رمضان راح بنصفه

والنصف راح به رجب

على بك: أجل نحنُ أطعمنا الفقيرَ ولم يكنْ
 له في قصور المترفين طعام
 ونحن سقينا ابن السبيل ولم يكنْ
 يُبلُّ له فوق الطريقِ أَوامُ
 ونحن حُضْنَا اليَتَمَ نَمْسَحُ دُمْعَه
 وآوَاهُ مِنَّا مُحْسِنُونَ كَرَامُ
 ترى الزادَ مَبْدُولًا وفي كلِّ ساحةٍ
 يتساعى قعودُ حوله وقِيَامُ
 وَنَبْنِي فَرْكُنًا لِلتَّقَافَةِ وَالْإِحْجَا
 يُشَادُّ وَرَكْنًا لِلصَّلَاةِ يُقَامُ
 وَدَارُ يُوَاسِي البؤسَ فيها وَمَنْزِلُ
 تَدَاوِي جِرَاحَاتٍ بِهِ وَسَقَامُ
 وَنُفُوقٍ بِالْعِجَاءِ نَاسُوا جِرَاحَهَا تَقَاتُ عَلَى سَاحَاتِنَا وَتَنَامُ
 على بك للأغا مرجان وهو بالباب :
 مرجان خير

- مرجان : سيدى بشيرُ
 على بك : أدخله ليسَ دونه سُتورُ
 «آمال : أميرتى لا تُراعى بشيرُ من أولادى
 آمال لام محمود :
- إِن مولاى شغلُهُ بالمهمات قد كثرُ
 ام محمود
 ام محمود : ملكتى ما تريدنَ ما الخبرُ
 آمال : شمسُ
 شمس : لبيك ملكتى دونك الشمس والقمر
 آمال لزكيه : أختُ
 زكيه : أفديك ملكتى زاد فى شأنك القدرُ
 آمال : جُلُنَ فى القصرِ جوَّةً وتنقلنَ فى الحُجرِ
 نحنُ فى الودِّ والصفاءِ كأمسِ الذى غَبَرُ
 عِشْنَ ضيفاً على فى القصرِ ما امتدَّ بى العُمُرُ
 « يخرجن مع مصطفى وعشاق . . ويدخل بشير بك فتنتحى آمال ناحية »
 « من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

على بك: ماذا وراءك يا بشــــــــــــــــير

بشير بك: شأنـــــــــــــــــه أعرضه خطير

على بك: قل

بشير بك: لا أقول لأنه شأنٌ يُسرُّ الى الأمير

هلى بك يذهب ببشير بك الى ناحية أخرى من الحجرة :

على بك: عجل وعكاشفنى بما بلفت من الجد الأمور
والبؤ

بشير بك: من ؟

على بك: أبو الذهب

بشير بك: يأخذُ للشر الأهب

هاز الأقاليم اليه وتآلف العرب

والغز في ركابه والشعبُ جذلان طرب

فلنرتحل فربما جن ففجّل الطلب

على بك : أرى الأزيمة اشتدت وأبطا انفراجها

بشير بك : فصبراً عساها آذنت بذهاب

على بك م - ٣

على بك : صبرت طويلا يا بشيرُ فما جلا
 ولا زلَّ العبرُ الجميلُ مُصابي
 ولو أن رُزئي بالغريب احتملتُه
 ولكن بأهلي نكبتني وعذابي
 يُطاردني في الأرض من دبٍّ في يدي
 ورُئي في حجري وشبَّ بيابي
 ومن طلب الدنيا ببأسي وسطوتي
 فلما حواها في يديه سَطَا بي
 ومن عِشتُ أبنيه وأعمُرُ ركنه
 فصيرَ هدمي شُغلَه وخرابي
 لقد آن أن أسعى وأن أدفع الأذى
 بشيرُ امض هَيَّ للرحيلِ ركبِي
 إلى كم قعودي عن عدوي وكيدِه
 وهذا عدوي لا يَمَلُّ طِلابي
 سأخرج نحوَ الشام في فلٍّ شيعتي
 فتهيء جِيادِي وادعُ خيرَ صحابي

بشير بك: وماذا وراء الشام

على بك: أَسَدٌ ضَرَاغِمٌ

أَلْفُهُمُوا حَسُولِي لِنُصْرَةِ غَابِي

يزيد بهم جيشي وتقوى عشيرتي

ويشتد ظفري في القتال ونابي

الآن فرغنا

بشير بك: أجل سيدي أَمْضَى؟

على بك: بل ابقِ انتظري يا بشير

إذا أنا قَضَيْتُ هذا المساء بقرب الأميرة ماذا يصير

بشير بك: وليلاً غدٍ والذي بعده

وان شئت فابقِ الليالي الكثير

ونحنُ فَنَمْضِي فَنَأْتِي العريش

ونبقى بها بانتظار الأمير

نُرِيغُ الجواسيس طول الطريق

ونهربُ من مُنْكَرٍ أو نَكِيرٍ

وتُدركنا أنت مستتمها

كثير التواري قليل الظهور

على بك : بل امض بنا سر بنا

فما جلب الخير مثل البكور

«ثم آمال : لا تجزعي أميرتي لا بد لي من السفر

لقد دعت حادثة من الحوادث الكبرى

آمال : كيف زواج وسفر

على بك : مزاحمة من القدر

أغيب شهرًا واحدًا فانتظري

آمال : سأنتظرك

على بك : ما أنت إلا ملك نهى بقصري وأمر

في ذمة الله ياربة القصر

آمال : وأنت مولاي شيعت بالنصر

على بك لرزق : سأصعد يارزق نحو الصعيد لشغل

رزق : ولم لا صعود القمر

« ثم لنفسه : صُهِودَ الدخانِ الى ذِرْوَةٍ
 على بك : وما في الخزانةِ أوفى القصورِ
 « لآمال : هكذا مصر كلَّ يومٍ شتون
 وكأن البلاد خيلُ جهاد
 رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلةٌ لا سَفَرُ
 وما الصعيد يقصدون
 أما أنا فقد ملأتُ
 إذا الزمان بهلى
 يجعلني محمدٌ
 على خزائن الذهب
 هذا لعمري الهربُ
 بل الى الشام الطلب
 اليد من أبي الذهب
 بمد حين انقلبُ
 على خزائن الذهب

على بك : سلامٌ على قصرِ الإمارة والغنى
 وايوان سلطاني ودست جلالى
 ووالله ما فارقت مغناك عن قلى

ولا خَطَرَت سلوى الأمور ببالى
 وأعلمُ أنى عنك لا بدَّ زائلُ
 وأنت منى لا محالة خال

ولكن أمور قد جرت وحوادث
بنقلة دنيا أو تبادل حال
فخالفني من كان عند إشارتي
يصول بجاشي أو يعيش بمسالي
وعقّ الذي ربّيت في حجر نفسي
ووطأت أكنافى له وظلال
تألف أصحابي والب شيعتي
على وأغسرى بالخروج رجالي
لقد جئتُ بأبنٍ ليس لي فكأنما
أتيتُ بأفعى من سحيق تلال
تفرّق عني الناس إلا بطانتي
ولم يبقَ حولي اليومَ غيرُ عيالي
سأمنّي وما عندي لهم إن تركتهم
سوى قوتِ أيام وخُبزِ ليالٍ
وقد زعم الناسُ الغنى في خزانتي
أتى من حرام تارة وحلال

وَأَقْسَمُ لَمْ تُصَرِّزْ يَمِينِي دِرْهَمًا
 مِنْ الْمَسَالِ إِلَّا أَنْفَقْتَهُ شِمَالِي
 أُسِيرَ أَجَلَ أَمْضَى نَفْسٍ فَغَسَى السُّرَى
 تَرْوَحُ بِنَجْمِي أَوْ تَبْجِي بِهِ لَالِي
 فَمَا الدَّمَرُ إِلَّا حَالَةٌ نَحْمُ ضِدُّهَا
 وَالْأَلِيَالُ بِمَدَهْنٍ لَيْسَالِ
 وَتِلْكَ الَّتِي أُحِبِّبْتُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
 وَأَشْرَكْتُ فِي مُلْكٍ وَشِيكَ زَوَالِ
 أَعْوَدُ إِلَيْهَا فِي الْمَوَاكِبِ ظَافِرًا
 وَفَرَّقَى بِالنَّصْرِ الْمُؤَثَّرِ حَالِي
 وَأَرْجِعُ حُرًّا تَحْتَى النِّيلُ كُلَّهُ
 وَمَا مِنْ بَنِي عُثْمَانَ فَرَقَى وَالِ

« يخرج على بك و معه بشير بك و رزق الوكيل و يبقى مرجان بالباب »

« تسمع ضجعة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول »

يا ربة القصر لا مسك الضر

هل عندكم غوثٌ هل عندكم نصرٌ
 لحرة في وادٍ ليس به حرٌ
 آمال : مرجان ويحي هذه صيحة
 وامرأة صارخة باسمك
 مرجان أنظر

مرجان : هي ذى أقبلت
 موهلة صاخبة شاكية
 « تدخل امرأة مقطوعة الاذن وصارخه »

آمال : ماذا دهي يا خاله أنت بشر حاله
 ذا الدم من أساله

المرأة : جنود وراء كبير لهم
 من الدين قد جردوا والخلق
 أتوا دارنا فمضى نصفهم
 أزال العفاف ونصف سرق
 ومال على أذنى بعضهم
 بسكينه طمعا في الحلق

آمال وتدفع الى مرجان صره :

مرجان خذ ناول

مرجان : تعالى خدى

آمال : لا بأس يا خالة لا بأس
انتظري عود علي غداً
ففي غد يرتدع الناس
« المرأة تأخذ العسرة وتصيب مولولة »

واذني أين ألقاها
مضت أهلاً لها آها
ويا من عنده أذني
أما يكفيك قرطها
« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »

الفتاة : سيدتي

آمال : وأنت أيضاً

الفتاة : رحمة سيدتي

آمال : ما تشكين ؟ ما دهى

الفتاة : الآن ياسيدي

يُذبحون إخوتي في ساحة الرميّة

آمال : ويح لهم ما ذا جنوا

الفتاة : لا شيء

آمال : لا . لا بُد من داي دعا

النفسُ لا تُقتلُ يا أختُ سُدِّي

الفتاة : صدقت يا أميرتي الأسسنا

لا ينزلُ الرأسُ بمصرَ جداً

الانزولُ المرء في بيتِ السكرى

آمال : تذكّري قولي لى الحق اصدق

الفتاة في حياء : قد سرق الأخوة بحش الكتخد

سرّ امضِ مرجانُ مع الفتاة

واشفع لى الحاكم للجناف

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أفا آخر ويقول :

سيديتى

آمال : وأنت ما عندك قل

الأفا : ابنُ الأمير سيدي مراد

آمال : ابنُ الأمير ، اهى عيّجل جى به

أكلهم لسيدي أولاد

أَدْخِلْ مُرَادًا وَاثْنِي بِمُسْطَفَى

آمال لنفسها : أَخَافُ أَنْ قَلْتُ أَبِي أَنْ يَسْرِفَا
« يظهر مراد بك »

آمال لنفسها : وَيَحْيَى وَيُحْيِي لِعَلِّي مَا أَرَى

إِنِّي أَرَى الْغَدَرَ عَلَى هَذَا الْفَتَى

مراد بك : تَحْيِيَّةٌ سَيِّدَتِي أَتَذْكُرِينَ مَنْ أَنَا

آمال : كُلُّ الَّذِي أَعْرِفُهُ ابْنُ الْأَمِيرِ هَهُنَا

مراد بك : أَمِيرَتِي قَدْ خَدَعُواكَ مَا عَلَيَّ لِي أَبَا

ما أَنَا إِلَّا صَاحِبٌ قَدَّمَ لَهُ وَقَرَّبَا

آمال : يَا عَجَبًا

مراد بك : وَمَنْ يَا مَالِكَةَ الْقَلْبِ الْعَجَبُ

وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ لَيْسَ عَلَيَّ لِي بَابُ

وليس ما يَمْنَعُنِي مَنْ أَنْ أَحِبَّ وَأُحِبَّ

آمال : تُحِبُّ أَوْ تُحِبُّ؟ قَوْلٌ لَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ

نَسِيتَ لِلْقَصْرِ وَلِي وَلَئِيكَ مَا وَجَبُ

مراد بك: قد عرفناك يا أميرتي أمسِ التقينا في معرضِ الجلابِ
مراد مستمراً: ذهبتُ لأشري فاشترائني وباعني

غزالٌ بسهمِ المقلتينِ رمانى
تَهَمَّتْ ولكن صاحبُ الصيدِ ردّنى
وصيّرَ سلطانَ البلادِ مكانى
ولم يدِرْ أنى فوقَ شأنِ محمدٍ
وشأنِ عليٍّ في الرئاسةِ شانى
إذا ما حوتنى كَفَّةٌ رجحَ الذى
رمى نىَ فى ميزانه فخوانى
وجاء عليٌّ فاشتترى

آمال : لست صادقاً بنى بى أميرٌ للمكارم بان
مراد بك: وطار عن الوادى
وماذا يهيبه أَلَمْ تُخَلِّقِ الْعُقْبَانَ لِلطَّيْرَانِ
مراد بك يقترب منها :

آمالُ لو تعرّفينَا
آمالُ لو تعطفينَا
مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما لنفسه :

أرى شبحَ الجريمةِ حامٍ حولى
كما ناشى الغريمَ الأفموان
آمال لمراد بك :

لا تدعنى باسمى ولكن
مرادُ هذا هوسٌ
مرادُ ما مقصورتى
أخرج

مراد بك : على رسالتك مولاتى
آمال :

دعنى اذهب
مراد بك : بحق الحب مولاتى
آمال :

ظلمت الحب يا غادر
فما الحبُّ فضولى
ولا لصى ولا فاجر
ولكن معدن النبل
وكنز الخلق الطاهر

« تنحسر الإمامة عن جهة مراد بك فيظهر أثر جرح قديم على »

« جبينه كان قد أصيب به فى صفره »

مصطفى بعد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

الهى هذا جرحه ذا مكانه
 أما كان طول الدهر للجرح لا تما
 الهى هذا الجرح فوق جبينه
 مضت سنوات ما محوّن العلائما
 لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئاً
 فصادف سيفاً خدش الرأس صارما
 الهى أرى أشياء ثم مهولة
 وأشفقُ فيها من عقابك صارما
 الهى لا تجعله حقاً ومرّاً أكن
 بما أنا راء من عذابك حالما
 كفى غضباً يا ربُّ حسب عقوبة
 وحاشاك لم تظلم ولم تك ظالما
 الهى كانت هفوتى عن غواية
 فتبتُ فسكن لى فيهما اليوم راحما

آمال للصطفى :

وأبتا

- مصطفى : لبيك آمالُ
- آمالُ : الىَّ يا أبى
- مصطفى : أحبُّ بهذا الصوتِ أحبُّ بالنداءِ أحبُّ
- آمالُ : أبى
- مصطفى : ابنتى أنتِ هنا
- آمالُ : تعالِ قفْ بجانبى
- مصطفى : لا بأس يا ابنتى عليكِ دونَ ناديكِ دُمى
- آمالُ : أبى لقد ديسَ العرينُ فى غيابِ الضيغمِ
- مصطفى : مَنْ فى مقاصيرِ الأميرِ ما أرى منَ الفتى ؟
- آمالُ : ذئبٌ بشكلِ آدمٍ للصيدِ فى الغابِ أتى
- مصطفى : «مهمهما»

خنجرى أينَ خنجرى اليومَ منى
يفسلُ المـارَ والدنيةَ عنى
فمسي أن يُريحنى من صبيَّ
عابثٍ أو يُريحَه هو منى

- هو يطفى بسنه ساريه
 أننى الليث ساعدى هو سني
- آمال : أبت ما تقول ؟ ماذا تلمست ؟
 مصطفى :
 سلاحى
 آمال : لا لا أبى لا ترعنى
 آمال لمراد بك :
- بربك الا حققت الدماء
 مراد بك : دماي أنا أم دماء اللعين
 مصطفى : أتلعننى يا أضلّ الشباب
 أتلعننى يا أعقّ البنين
 مراد بك : ولم لا ومالك من حُرمة
 مصطفى : ستعلم ما حُرمتى بعد حين
 سأقلم عينا سمّت للبقا
 وأقطع رجلا مشّت فى العرين
 آمال : كفى هوسا أيّ هذا الأمير

مراد بك: أبي هوس ملكتي
آمال : بل جُنُون
كفى جرأة

مراد بك: وعلام اجتراء؟
آمال : على امرأة تحفظ الغائبين

مصطفى : مراد لك الويل من سادر وقاح اللسان وقاح الجبين
هتكت على الحزن محرابه ودست على عبرات الحزين
ولم تحتشم في خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقار السنين
ثم لنفسه وهو يبحث عن خنجره :

ربّ ضللّ يدي وحطّم سلاحي
ربّ لا تقض أني أقتل ربي
مراد بك: سيسبق سيفي خنجر الشيخ
مصطفى : مرحباً

بسيفك من ماضى الحديد يماني
فهاه مراد السيف هاه مني
أرح من عذاب الحادثات جناني
على بك م — ٤

مراد بك وقد شهر سيفه :

الهي مالى قد غلبت على يدى

وما بال سيفى اذ همت عصانى

وما بال نفسى بعد طول جمودها

قد انفجرت من رحمة وحنان

عفوت فل يا شيخ ول عني انطلق

وعش ناعماً فى غبطة وآمان

مصطفى : اميرى ذا راسى فخذ بهضبة « يخرج مراد بك »

عسانى ارى هدا الضمير عسانى

لنفسه ويتبع : ا انبياء لم لا ا. بل استأن مصطفى
مراد بك

ا اذكر لاني كيف خسة شانى

آمال لنفسها: ويح لى ويح قد قسوت عليه

وتجاوزت فى العقوبة حدى

ما الذى استوجب الأمير

وما أذنب حتى رددته شرّاً ردّ

ويحّ قلبي يُحبُّه كذب القلب
 وبُعداً لحبّ الف بُعد
 هو مستهترّ مَشَى على حجراتي
 وتناسى أمانة الزوج عندي
 لا . بل القلب شُغله بمراد هو شغلي من الحياة وقصدي
 ربّ مالي أحسن نحو مراد
 شفقاً زائداً ولوعة وجد
 وحناناً كأنه رقة العشق جرى في دمي ولحمي وجلدي
 صدق الأولون الآن أدرى
 كيف تجزى القلوب ودّاً بود
 كيف قلبي تحبُّه كيف تهواه
 بودى لو تستفيق بودى
 عبثاً أدر الفؤاد وأنهى
 وسُدّي استردّ عقلي ورُشدى
 كلّ نصح يُقال للقلب في الترك
 وفي سلوك الهوى غير مُجد

لَمْ لَا أَشْتَهَى مُرَادًا وَأَهْوَاهُ
وَمَالِي أَغْلَبُ الشُّوقُ جُيُودِي
وَمُرَادُ الذِّ فِي الْعَيْنِ لِحَاً
مَنْ سَنَا الصَّبْحَ بَعْدَ لَيْلَةٍ سُهْدِ
مَلَأْتُ جَاءَ حَجَرَتِي يَشْرَحُ الْحَبَّ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُجَازِي بِطَرْدِ
لَمْ لَمْ أَتَّخِذْهُ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ
نَصِيحاً يَرُدُّ عَنِّي التَّعْدِي
لَمْ لَمْ أَتَّخِذْهُ بَعْدَ عَلِيٍّ
رُكْنَ دُنْيَايَ أَوْ دَعَامَةً مَجْدِي
لَا وَرَبِّ الْحَلَالِ وَالْحَقِّ آمَالُ
أَرْجِي لِلصَّوَابِ آمَالِ جَدِّي
أَنْتِ مِنْ أُمَّةٍ تَصُونُ حِمَى الزَّوْجِ
وَتَقْضِي حَقَّ—وَقَهْ وَتُؤَدِّي

رَبِّ لَا تَجْعَلِ الْفَلَاقَةَ إِلَّا
 مِنْ سَلَامٍ إِذَا التَّقِينَا وَرَدَّ
 رَبُّ إِنْ الْبَلَاءُ مِنِّي قَرِيبٌ
 وَأَرَى حُفْرَةً وَأُخْشَى التَّرَدَّى
 رَبِّ لَا تَقْضِ أَنْ أُخُونَ عَلِيًّا
 وَأَعْنِي عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِي
 أَنَا حَيْرِي وَأَنْتَ تَهْدِي الْحِيَارِي
 كَيْفَ أَهْوَى عَلَى هَوَى الزَّوْجِ عِنْدِي
 مُسْتَمِرَّةً : لَا لَا رَوَيْدِكَ يَا آمَالُ لَا تَنْبِي ؟
 عَلَى الْأَمِيرِ وَلَا تَجْزِيهِ طَفِينَانَا
 وَاسْحَى حَمَى اللَّيْلِ فِي أَيَّامِ غَيْبَتِهِ
 إِنْ اللَّابَةِ تَحُوطُ الْغَابِ أَحْيَانَا
 هَبِيهِ لَمْ يَخْلَعْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَلَمْ
 يُبْلِسْكَ تَاجًا وَلَمْ يَنْزَلْكَ أَيَّوَانَا
 هَبِيهِ لَمْ يَنْفَجِرْ قَبْلَ الزَّوْاجِ وَلَا
 بَعْدَ الزَّوْاجِ وَلَمْ يَنْهَلْ أَحْسَانَا

هيبه سافر في شأته له تجالي
يدي لدولته في الأرض أركاننا
أما هو الزوج يُرعى حق غيبته
وتجمل الحرّة الفضلي له شأننا
لقد أقامك في صحرا به مأسكا
لا تجمل الملك المهدي شيطاننا

« سمار » تار »

الفصل الثاني

في قلعة مناهر العُمر صاحب عسكا

« فناء قليل الضوء مبني من الحجر انتشرت المصاطب في جوانبه »
 « يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الاسطول الروسي »
 « في ناحية من فناء الدار بعض الجنود يتحدثون »

ستم الرعد

أحد الجنود :

سمعنا القوقعة

آخر :

ربكم هل في السماء مسبعة

أم في السماء وقعة ومعه

كجبل من الرخام انشقاً

الأول :

أو كالنحاس بالنحاس دقاً

الثاني : والبرق لحة القبس أو زفرة حرسى النفس

أو كالدم القاني انبجس

شَقَّ الظَّلَامَ وَخَفَقَ عَلَى مُلَائِقِ الْأَفُقِ
كَأَنَّهُ خَطُّ الشَّقِّ

حُبَيْش : ضَرْغَام

ضَرْغَام : ماذا يا حُبَيْش ؟

حُبَيْش : الْعَمَى لَكَ الْعَمَى

الْبَرْدُ زَادَ

ضَرْغَام : صَا أَمَا فِي طَوْبَةِ نَحْنِ أَمَا

حُبَيْش : ضَرْغَام إِنِّي قَدْ حَسَدْتُ الْقَوْمَ فِي جَهَنَّمَ

ضَرْغَام : اصْعَدِ إِلَيْهِمْ إِنْ أَرَدْتَ

حُبَيْش : كَيْفَ ؟

ضَرْغَام : هَاكَ سَلَمًا

وَأَنْشُدْ حِمَاتِي بَيْنَهُمْ وَطَفْ بِهَا مُسَلِّمًا

حُبَيْش لِلْمَلَأَط : مَلَأَط

مَلَأَط : لَبَّيْكَ حُبَيْشُ

حُبَيْش : قُمْ أَخِي لَكَ الْعَطَابُ

ملاط : وما الذي أصنع يا حبيش

حبيش : جنسنا بحطب

ملاط : من أين ؟

حبيش : قم خذ كلما لاقت يدك من خشب

ملاط : كيف أجرُّ الساق والبردُ بأطرافي ذهبُ

كأنني ميتُ اليهود نُزعتُ منه الرُّكْبُ

حبيش : يا لك برداً قارساً وزمهريراً لاذعاً

لا الصوف فيه وافيّاً ولا الحريرُ نافعاً

ضرغام : ضرغام ما الصوف ما الحريرُ لا لا أعطنا برادعا

حبيش : انظر قفا صاحبنا كأنه بفُلٍّ ذبحُ

وانظر أهاتيك أنوفٌ في الوجوه أم بلح

كان كل رجلٍ في أذنيه قـد جرح

« تسمع فرقة »

آخر : صوت ؟

ضرغام : أجل

الأول : ما الصوت ؟

ضرغام : تلك فرقة

الأول : وأين ؟

ضرغام : عند الترك على من موقعه ؟

« تسمع فرقة ثانية »

حبيش : وذاك ؟

الأول : مدفع وتلك بنساعة

الأول : اسمع

ضرغام : وما ذلك ؟

الأول : تلك طعنة

أقدام خيل في الفضاء مطلقه

ملاط : ربي متى ينقضي البلاء

وتنقضي الحرب والشقاء

جيش : (ج) متى نلهم بالسلم متى

كم ذا الى كم نحن حارب وشتا

آخر : كم أنا كالفار شقي من خندق نخندق

أصحو على المدفع أو على صفيح البندق

جيش : قل لنا يا خراب ما هذه الحال متى تنتهي وأين المصير ؟

قد سئمنا القتال واشتأقت الزوج الى زوجها وحن الصغير

وتركنا وراءنا الدور عز القمح فيها وقل فيها الصغير

وبنو ضاهير شرابهم المساب والشهد قوتهم والفطير

آخر : كل حين يحى من مصر جيش

ينزل القدس أو يحل الشاما

وأسير يقاتل الترك في مصر

أنى شاهراً علينا الحساما

نحن ما بين مصر والترك ضيعنا

وسئمنا الحياة والأياما

غَنَمٌ نَحْنُ بَيْنَ رَايَ وَذَيْبِ
أَيُّ هَذَيْنِ جَاعَ كُنَا الطَّعَامَا

آخر : وغداً ..

حبيش : ماغد ؟

الأول : بلالة عظيم

حبيش وآخرون : كيف ما ذاك ؟

الأول : اسألوا ضرغاما

ضرغام : العمى للرجال ما تبصرون الفلُك في البحر تشبه الأعلاما

آخر : فلُك مَنْ ؟

ضرغام : فلُك قيصِر الروس في البحر تصبُّ الردى وترمى الحماما

قِطْعٌ من جهنم راسيات قعد الشر حولهن وقاماً

وغداً ينزل الجنود فيحتلون هذى القلاع والآجاما

ملاط : اذن فأهلاً بغداً إن غداً قد اقترب

آخر : كيف وماذا في غدا ؟

ملاط : فيه كرائمُ السلبِ

غداً نفوذٍ بالسلاحِ والملابسِ القشْبِ

آخر : وما على الصدورِ من قلائدٍ ومن صُلبِ

وعادةِ الروسِ يفوءونَ بصلبانِ الذهبِ

« يدخل ضاهر العمر ومعه حسين المصري »

ضاهر : وكيف حالُ الدارِ

حسين : غابةِ الأسْلِ

أوهى وكرالنسر في رأسِ الجَبَلِ

ضاهر : وسَهَرُ الدارِ على الضيفِ الأجلِ

حسين : تحفظه حفظ الجفونِ للمُقلِّ

ضاهر : والشامِ كيف تجد الشامِ ؟

حسين : نُزْلُ

حسين : يليق في جنةِ عدنٍ للرُّسُلِ

أنهارها من لبنٍ ومن عسلٍ لاشيء إلا في ذرا الشامِ كَمَلِ

إِنْ تَخْلَوْا مِنْ شَيْءٍ فَهِنْ لِحِمِ الْحَمَلِ

ضاهر (ويصنف) :

غَضِبَانُ صَعْبُ يَا عَبُوسُ يَا نَكَدُ

صعب وغضبان : لبيك مولاي اقترح أشر تجد

ضاهر : امضوا اجمعوا الحملان من سوق البلد

وقدموها للضيوف منذ غدا

« ينسحب حسين والخادمان »

يدخل خادم ويقول :

مولاي

ضاهر : ما ذا زائرة آخر ؟

الخادم : لا سيدي بل هذه زائرة

ضاهر : امرأة أنثى ؟

الخادم : أجل سيدي

ضاهر : اسمها

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هل صرحت من أين جاءت
 الخادم : أجل من مصر مولاي من القاهرة
 ضاهر : وما سنها ؟

الخادم : عادة في الصبا تُشبهها الزنبق الطيبا
 وقد لبست حلة للسفار

وشالا كوشى الضحى مذهبها
 تريد تقابل ضيف الأمير

ضاهر : تريد عليا إذن مرحبا
 لنفسه : آلهي أنثى لدارى سعت
 ترى امرأة هي أم حية
 تريد صديق أم عقرب

« يخرج ثم يعود بشمس »

شمس : سلام لك مولاي

ضاهر : سلام جارة الدار

فما أنت وما تبغين من ضيفي ومن جارى

شمس : رسول أنا يا مولاي قد جئت بأخبار

جَرِي فِي مَصْرِ الدَّهْرِ بِأَحْوَالٍ وَأَقْسَادٍ

ضاهر : وما ذلك ؟

شمس : لا أُعْطَى سِوَى مَوْلَايَ أَسْرَارِي

ضاهر : هَيْ تَقْسِمُ فَتُشِّ السَّيِّدَةِ

« لِلْخَادِمِ شَمْسٌ : لَا سَيِّدِي يَحْسُنُ أَنْ تُبْعِدَهُ

مَرَّ لَا يَمُدُّ الْوَحْشَ نَحْوِي يَدَهُ

الْخَادِمُ وَيَتَقَدَّمُ نَحْوَهَا :

مَا ضَرَّ لَوْ زَحَزَحْتَ الْفَاعِدَةَ فَضْلَ الْبَرْقَمِ

شمس : مَا لَكَ يَا وَغْدُ وَلِلْبَرْقَمِ دَعُ عَنْكَ دِعِ

الْخَادِمُ : عَمِّي لَكَ يَا عَمْرُ مَا ذِي غَدَائِرُ لَكِنِّهَا أَفْعَوَاتُ قَبَعِ

وَتِلْكَ الْجَفُونَ سِلَاحٌ مَضَى وَسَهْمٌ أَصَابَ وَسِيفٌ قَطَعَ

وَفِي الصَّدْرِ غَدَارَةٌ هَهُنَا وَأُخْرَى إِلَى جَانِبِهَا تَقَعُ

وَهَذَا الْقَوَامُ كَرَمَحِ الْأَمِيرِ إِذَا اهْتَزَّ فِي كَفِّهِ أَوْلَعَ

أَمِيرِي الْأَنْزَعُ مِنْهَا السِّلَاحُ « يَدْخُلُ عَلَى بَكَ »

عَلَى بَكَ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ : سِلَاحُ الْمَلَاةِ لَا يُنْتَزَعُ

« ينسل ضاهر »

على بك الشمس :

أهلاً بشمس الرسول ومرحباً
بنسيم مصر ونفحة الأحابير
كيف الأحبة شمس هاتي خبري
قد طال بُعدى عنهمو وغيابي
كيف الديار وكيف قصرى هل ترى
ترك القواصد والصنائع بابي
أتراهم وأقدرهم خدمي وقد
وموائدى يا شمس كيف موائدى
والطاعمون بها وكيف رحابي ؟

شمس : مولاي طب نفساً فبرك لم يزل
يجرى وخيرك في يد الطلاب

على بك : والناس شمس ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذاب

على بك م — ه

الغُرُ والأمراء حول ركابك

على بك : وكذلك كانوا أمس حول ركابي

والأزهر المأمور ؟

شمس : صاد محمد فيد الشيوخ وعاد بالطلاب

على بك : والشعب ؟

شمس : سال يا أمير كعده قد مال عن باب وقام بباب

والترك قد نصبوه بعدك هرّة يتصيدون بظفرها والناي

على بك : والقصر كيف القصر كيف حديقتي

وشري يكتي في شدتي ومصابي ؟

أرايت آمالا ؟ وكيف وجدتتها ؟

شمس : لم نفترق مولاي

على بك : منذ ذهابي ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيم بقصرها

وتعطفت وحنّت على الأتراب

على بك : فوجدتها يا شمس

شمس : خَيْرَ عَقِيلَةٍ وَأَجَلَ رَبِّهِ مَنْزِلٍ وَحِجَابٍ

مَلَأَتْ مَكَانَكَ عِزَّةً وَمَهَابَةً

وَكُنْتَ حِمَاكَ جَلَالَةَ الْمَحْرَابِ

سَهَرْتَ عَلَى ذِكْرِ الْأَمِيرِ وَعَهْدِهِ

سَهَرْتَ اللَّبَاءَ عَلَى حَرِيمِ الْغَابِ

لَوْ كُنْتَ أَمْسٍ تَرَى رَأَيْتَ أَيْيَةً

غَضَبِي مُحَامِيَةً عَنْ الْأَحْسَابِ

عَلَى بَك : غَضَبِي ؟ وَمَهْمٌ وَمَا جَرَى مَا رَاعَهَا ؟

شمس : مَنْ سَافَلَ مُتَهَافِتٍ دَبَابِ

عَلَى بَك : مَا ذَاكَ شَمْسُ مَنْ الْوَقَاحُ

مَنْ الَّذِي ؟ نَقَلَ الْخُطَى بِمَنَازِلِ الْفَيَّابِ

شمس لنفسها :

رَبَّاهُ مَاذَا قُلْتَ لِمَ خَبَّرْتَهُ

قَوْلِي أَجِيبِي

عَلَى بَك :

رَبِّ كَيْفَ جَوَابِي

شمس لنفسها :

شمس لعلی بك :

ذنبٌ فلا تجعلك شغلک سیدی

إن القذارة شيمةُ الأذنانِ

علی بك : من ذاك شمس ؟

شمس : مراد

علی بك : ويح له ولي ويحي من الأتباع والأصحاب

أمرادُ يصنعُ ذاك ماذا غره بحزانتی ما غره بثیابی
والزوج شمس ؟

شمس : استعصمت فی دینها

ورمّت بزائرِها وراءَ البابِ

علی بك لنفسه :

يا نفسُ قد خان من قلّدتَه ثِقَتِي

وكان حولى لواءِ الصَّحبِ والآلِ

هذا أبو الذهب استولى على شيعي

وحاز دوني جاهي واحتوى مالي

واليوم هذا مرادُ نالٍ من شرفي
 ما لا يَمُرُّ لأعدائي على بال

على بك لشمس :

تعالى نَجُلُ يا شمسُ في دارِ ضاهِرٍ
 تعالى نَرَى الجيشَ الحليفَ تعالى
 فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثم عيالهُ
 على كثرةِ اللاجي وشمَّ عيالي

« يدخل حسين بن باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

حسين : من أرى مَنْ سعيد ؟

سعيد : سلامٌ حُسَيْنُ

حسين : سلامٌ سعيدُ

سعيد : أأنتَ هنا لم تزل يا أخى تراقبُ في الشام حالَ الطريقِ ؟

حسين : وكيف اقتحمتِ فناءَ العرينِ

وجاوزتَ هذا الحصارَ الشديدَ ؟

سعيد : بمالٍ بذلتُ هنا وهناك وبالمالِ يُعطى الفتى ما يُريد

حسين : متى جئتَ من مصرَ ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك ؟

سعيد : بفالٍ البريد

حسين : وماذا بمصرَ من الحادثات ؟

وهل جدّ في أرضِ مصرٍ جديد

سعيد : حوادثُ مصرَ على حالها

وأمرِ القريبُ كأمرِ البعيد

حسين : وكيفَ محمد ؟

سعيد : خلفته كما يشتهي وعلى ما يُريد

قبولٌ يُحرقُ قلبَ الحسود ودنيا تفيضُ وشأنُ يزيد

لقد نزلَ الريفُ في راحتيه وحجَّ إلى قدميه الصعيد

ترى الأمراءَ على بابهِ يقومون فيه قيامَ العبيد

والفقهاءُ على دارهِ صباحَ مساء زحامٌ شديد

حسين : اذن قُضِيَ الأمرُ مصرً لَنَا

سعيد : أجل ما كُنَّا اليومَ فيها وطيدُ

حسين : وكُنتي سعيدةً؟ تَجِيءُ الأميرُ؟

سعيد : أجل وهي موضعُ إعجابه

يُشيرُ بها في أحاديثه

ونحنُ كلانا على باله

ونظفمُ أطيبَ إحسانه

حسين : وما أتيتَ يا أخي

سعيد : ذلك سرِّي يا حسين

حسين : حذارِ أن تقول أو

نحنُ بدارِ ضاهرٍ

الجمع يقظانٌ بها

وكلُّ جاسوسٍ هنا

وقد تظنُّ ضاهراً

وضاهرٌ ليلَ نهارٍ

أجل وهي موضعُ إعجابه

وينشرُها بينَ أصحابه

غداً تتلاقى على بابه

ونلبسُ أسبغَ أثوابه

تصنعُ في هذا البلد

لا يقالُ لأحد

تفعلُ شيئاً يُنتقدُ

دارِ العـديد والعـدد

وان ظننته رقد

عليه عينٌ ورصد

مبتعداً وما بعد

في السـلاح والزرد

قد جعلَ الشَّامَ هِي الغابِ وطافَ كالأسدِ
« ثم بعد فكرة سكون »

سعيد : حسين

حسين : ماذا يا سعيد قل سل

سعيد : أين تُرَى أصادفُ الآن على

« يقبل على بك »

حسين : سعيد أنظر التفت هذا الأميرُ مقبلاً

يمشي الهوينى ويخالُ الأسدَ المستمها

سعيد : حسينُ ماله انحنى ما باله ترهلاً
لأمشينَ نحوَه

حسين : لا يا أخى بل ابق

سعيد : لا

حسين : إياك أن تقولَ ما يُغضبه أو تفعل

فهو مهيبٌ ههنا كالليث في جوزِ الفلا

سعيد : لا تخشَ لا أكون إلا محسناً ومُجماً

ألم يكن أمس أمير البلاد المبحلاً

على بك سعيد :

من المرء من أين من أرض مصر ؟

فهذا اللباس لباس الوطن

سعيد : أجل ملكي من رعاياكمو

على بك : ومن مصر هذا اللسان الحسن

وما اسمك

سعيد لنفسه : ما هم اسمي ؟

« لهلى بك : سعيد

على بك : سعيد تذكرت من أنت من

سعيد لنفسه :

تذكرني عجب كيف ذاك ؟

ولم نجت مع مرة في الزمن

شراهي ارتاب ظن الظنون

تراه لـ كلفوني فطن

على بك : وكيف تركت بمصر الأمور

سعيد : عواصف حول مراسي السفن

وجوُّ الأمور من الحادثات كثير الغيوم كثير الدجَن

على بك : وكيف تركت الأمير الجديد ؟

سعيد : سقيم الولاية فكدر الزمن

على بك : ولم يا فتى هل تولّى الولي

وخان من الشيعة المؤمن

سعيد : أجل يا أمير ودبّ الخلاف

وثارت هنا وهناك الفتن

على بك : حديثك يا صاحبي لا يُساغ

ولا تطمئن اليه الأذن

عساك تبالغ فيما تقول لعلك تخلق ما لم يكن

أذن لم يخن عهدى الأمراء ولم يقلب الترك ظهر الميخن

ولم ينس أصحابي الفقهاء أيادي عندهم والمين

ولا الشعب ملء الأمير القديم
 ولا بالأمير الجديد افتتن
 بلغت المدى أيها الفتي رويداً تأن رويداً تأن
 فما نحن في فلات الحجاز ولا نحن في ربوات اليمن
 ولكن على الشام فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنا والسفنُ
 وأخبارُ مصرَ وأحوالها هنا سمرُ القرى والمدنُ

سعيد : وكتب الثقات إلى سيدي
 علي بك : وما هي من أرسل الكتب من ؟

سعيد : كتابان من عمر الجركسي ومن حسن
 علي بك : من ؟ صديقي حسن ؟
 كتابان من مصر من صاحبي ؟

سعيد : أجل سيدي
 علي بك : سوف أغلي الثمن
 وأين الكتبان ؟

خذ سیدی

سعید :

خذ النعش خذ من یدی الکفن

« وينقض عليه بخنجره فيقبض على بك على ساعده »

حسین لنفسه: أسفاه علی سعید فما أدری
نحنُ سیان فی البلاء وأید
هو فی قبضة الأميرین لم لا
أتواری أنسل أنجو بنفسی

« ثم ينسل هاربا »

علی بك : كيف ترى یا معتدی لقد وقعت فی یدی

يدخل ضاهر ويقول :

اتركه لی یا سیدی

اتركه لی فإنه فی داری سطا بضیفی وسطا بجاری

علی بك : من؟ ضاهر؟ بالنفس أفدی ضاهراً

أكنت معنا یا أمیر حاضرًا

ضاهر : كنتُ علیك یا صديقي ساهراً

والآن أذهبُ یا أمیرُ بصاحبي

أنا قد وهبتك للأمير وقد عفا

إني الأمير بكل فضل باد

علي بك : الآن سعيد

سعيد : أميرى قل

علي بك : تكلم ابن نبى من أمر

وكم كيف أذاك جواز السفر

تكلم ابن

سعيد : سيدى أعفني

علي بك : قل السر لا تخفه لا تخف

أليس محمد المجترى ؟

سعيد : مراد أشار بقتل الأمير

علي بك : مراد ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى

وما أنا إلا سلاح شهير

« علي بك ملتفتاً بضاهر العمر »

سمعت أخى ما يقول الغلام

عدو من الأهل ثان ظهر

إذا ما بنى الأهل والأقربون
فكيف من العالمين الحذر

« يخرج الظاهر فيتنبأ لحظة ثم يعود فيقول »

ظاهر : أميري

على بك : مَنْ صاحبي ظاهر ؟

ظاهر : هنالك مولاي ضيفٌ حَضَر

على بك : وَمَنْ

ظاهر : قائد الروس في عكةٍ أيدخل مولاي أم ينتظر

على بك : أميري على البحر ماذا يقود ؟

ظاهر : بوارج للروس مثل الجزر

على بك : وماذا ترى أنت مُرني أُشِرْ

ظاهر : تلاقيه فهو جليلُ الخطر

على بك : أَلأقيه ؟

ظاهر : لِمَ لا وما في اللقاء إذا ما سمحت به من ضرر

« يصفق الشيخ ظاهر فيدخل القائد الروسي محاطا برجال »

« الشيخ » ويخرج ظاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأُميرِ

علي بك : تحياتُ وأهلاً بـسيدي الربانِ
ادنُ خُذْ مجلساً بجنبى تفضل

القائد : عِشتَ مولايَ مُوليَ الاحسانِ
نحنُ جارانِ يا أَميرُ ولكن نحنُ فى منزلينِ يختلفانِ
أنتَ كالليثِ رابضاً فى الصحارى

وأنا الحوتُ فى العبابِ مكانى

علي بك : غَيرَ أنى مُقيّدٌ بِمُخطوبٍ حبستُ همتى وردتْ عنانى

القائد : لا تَضِقْ يا أَميرُ ذلكَ أسطولى جلالَ البحارِ نورَ الموانى
سُفنُ القيصرِ العظيمِ قصورُ لكِ إن شئتَ زِينتَ ومغانِ

علي بك : أشكرُ القائدَ النبيلَ وإن لم يخف ما فى خطابهِ من معانِ
مستعراً :

أنا فى دارِ ضاهرٍ وهى دارى مع أعوانهِ وهم أعوانى

أنا فى دارِ مسلمٍ عِربىٍّ مانعِ الجارِ مكرمِ الضيفانِ

أنا فى الدارِ أولُ مُنْذُ هاجرتُ إليها وصاحبُ الدارِ ثانِ

علي بك م - ٦

القائد : سيدي ألقِ ضاهراً وتقلدْ
نجدة القيصر

لا ترومنَّ بالعصاة لكِ مصرٍ
واطلب الملك بالحسام

كيف تبغى سريرَ مصرَ بشيخٍ

بدويٍّ بصارمٍ وحصارٍ

على بك : بكريمٍ من الرجالِ أبيٍّ
عبقريٍّ الوفاء والاحسان

فزنْ القولَ يا نبيلُ وأمسكْ
لا تنلْ ذكرَ صاحبي بهوان

القائد : ما أهنتُ الصديقَ مولايَ لكن

قلتُ أحسنَ تخيُّرِ الأعوانِ

على بك : ليستْ النجدةُ البوارجَ كالأعلامِ

تطوى الأجاجَ كالطوار

ليستْ النجدةُ الحديدَ ولا النارَ

بأيدي المشاةِ والفرسانِ

ليستْ النجدةُ اصطفافَ العوالي

والتفافَ العروشِ والتيجانِ

النحلة الحق الآ صاحب دمه

عند البلاء دمي أوماله مالى

أخ قديم كبرق التيسر خلته

لم أسق من وده الا بسكسالى

وعرضه عندى الغالى وان بعدت

به الديار وعرضى عنده الغالى

القائد : كصاحب الدار ؟

على بك : لم لا ضاهر رجل من المروءة لا عطل ولا خال

« تقبل شمس »

القائد : والمملك مولاي ملك الضفتين

تعالى بك : أجل

المملك يا قائد الأسطول آمالى

القائد : إذن فتلك سفين القيصر اضطرحت

على فراسخ من عكا وأميال

فاركب أميرى فيها واثت مصر غداً

فى الدارعين وفى الفولاذ والمال

لعلنا ندخلُ الوادى معاً وعسى
 على لوائك يفزوا التركَ أبطالى
 على بك : تمضى فنفتحُ مصرأ ثم ندخلها
 أمسيةُ الدهرِ تأتى لى وتسعى لى
 غداً احلُ بأعدائى العقابَ على
 ما استمرؤا أمسٍ من قهرى واذلالى
 « يدخل ضاهر »
 على بك لنفسه :

رباهُ ماذا يقول المسلمون غداً
 إن خنتُ قومى وأعمامى وأخوالى
 يُقالُ فى مشرق الدنيا ومغربها
 فعلتُ فعلةً نذل وأبنِ أنذالِ
 « للقائد: أجل سموتُ لملكِ النيلِ أطلبه
 بهمتي وباقدامى وأفعمــــــــــــــــالى
 لا أستعينُ على الأهلِ الغريبَ ولا
 أرمى الذئبَ على غابى وأشسبالى

القائد : مولاي تلك معانٍ تحتها كرمٌ

ليست لمن طلب الدنيا بأشغالٍ

على بك : بعداً وسحقاً لعلياء الأمور إذا

لم التمسها بخلقٍ فاضلٍ عالٍ

الموتُ في ثمرٍ ترقى لتجنبيه

في سلمٍ من ثعابينٍ وأصلالٍ

القائد : إذن أميري فالأسطولُ منتظري

والبحر يسألُ عن شأنِ الأُميرالِ

على بك بتوت منخفض :

اذهب فما أنتَ دارٍ ماغدٍ فمسي

يُغيّرُ الله من حالٍ الى حالٍ

« ينصرف القائد ويشيعه ضاهر وأتباعه »

على بك لنفسه :

رباهُ ما بالي أبعدَ محمدٍ وعقوقه أشقى بكيدٍ مرادٍ

أنا صخرةُ الوادي يُراوحُ عاصفُ

ركني ويبكرُ عاصفُ فيفادي

حَسَلْتُ كَوَاشِلِي الْخَطُوبَ كَأَحْوَتِ
 هَوَجَ الرِّيحِ مَنَاصِبُ الْأَطْوَادِ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ وَرَائِي الْوَادِي وَمَا
 بِالضَّفَّتَيْنِ فَتَى يَحُوطُ الْوَادِي
 لَمْ يَبْقَ فِي مَصْرٍ وَمَصْرٍ عَزِيزَةٌ
 مِنْ قَائِلٍ هَذِي الْبِلَادُ بِلَادِي
 الذُّبُّ يَرْتَعُ فِي الدِّيَارِ وَيَرْتَعِي
 وَالشَّعْبُ يَسْرَحُ كَالْقَطِيعِ الْهَادِي
 نَقَلَ الزَّمَانُ زَمَانَهُ وَرَمَى بِهِ
 مَنْ فَاتَحَ بَاغٍ لآخرَ عَادِي
 وَيَحِي فَمَا وَقَفَ الرِّجَالُ كَمَوْقِفِي
 مَنْ ظَلَمَ أَحْبَابٍ وَكَيْدَ أَعَادِي
 فَهَنَّاكَ فِي فُسْطَاطِ مَصْرٍ مُحَمَّدُ
 جَشَعُ الْعَدَاوَةِ لَا يَمَلُّ طَرَادِي
 حَتَّى حَوَى بَيْدَ مَوَاكِبِ دَوْلَتِي
 وَحَوَى بِأُخْرَى طَارْفِي وَتَلَادِي

مالى شهد الأثيم يكيد لي
 وصاد الباغى يدوس وصادى
 عجب المجائب مصر سارت ضيفة
 لمحمد ورفاقه الأوغاد
 ذئب أتى الأتراك فى الوادى به
 خلعوا عليه إمارة الآساد
 وبقيت فى أرض الشام مُسرّداً
 حيران ليس لحيرتى من هاد
 قد نمت عن حقى وتارك حقه
 لاقى الخسار على الندامة غاد
 مالى قعدت وتركيا مقهورة
 والروس حولى يخطبون ودادى
 أسطولهم بيدى وقائدهم معى
 سأصيب جندى عنده وعتادى

لا يا عليُّ رويداً في الغضبِ اتشد
 ما تلك خُطَّةُ حكمةٍ ورشاد
 ماذا جنتُ مصرُ عليَّ وأهلها
 إن الجناة عليَّ هم أولادي
 ما ضرَّ مصرُ وضرَّني إن لم تكن
 مهدي وكان بغيرها ميلادي
 بلدٌ رعاني في الصبا وأحلني
 بعد الشبابِ مراتبَ القواد
 ودخلته عبداً كيوسفَ مشترى
 فاعتضتُ تيجانا عن الأصفاد
 لا يا عليُّ اسمع نهبك ولا تسخ
 لوساوسِ الشهواتِ والاحقاد
 لا ترمِ بالروسِ الشدادِ جماعةً
 ضعفاءَ مهذولينَ غيرَ شداد
 لا تنسِ موضعَ مصرِ واذكر مالها
 من أنعم سلفتُ وبيض أباد

لا تنسَ ما ذا ألفتَ من سامِرٍ

لك في الشبابِ وهيأت من نادٍ

شمس : أميري

على بك : شمس سمعت النجى ؟

شمس : أجل سيدي وعامت الخبر

على بك : فما ذا تريين ؟

شمس : أرى الخطبُ جلَّ وأنتَ عليه جليلُ الخبر

وما زدتُ علماً بحلم الأميرِ ولا خلقه الأريحي العطر

دع الروس لا تنتصر بالفريب وباللَّه بالأقربين انتصر

على بك : وأين همو شمس ؟

شمس : هم في يديك وتحت لوائك مُر قل أشير

أصخ لسجايك فالخير فيك

على بك : وليس يُقابلُ الا بشر

ابو الذهب الغرُّ بالترك لا ذ

وفي مصر في غدها ما افتكر

وكم قد غزاهم على رأيي وكم من سلاحٍ عليهم شهرٌ
وكنّا خطّطنا اقتشال البلاد

وانقاذها من عُتوّ التّـتـتـتـتـتـتـتـ

وأن نستقلّ بسلاطينها ونهضها في النواحي الأخرى
شمس : تركتُ ورأى ما تبتغي من العون والمسدد المنتظر
على بك : جموعٌ ؟

شمس : هناك على الصالحية
جمعٌ كسرب الجراد انتشر
وينتظرون ركاب الأمير كمثل انتظار النبات المطر

« يعود ضاهر »

ضاهر : ضاهرٌ عند ظن مولاي فيه

على بك : مَنْ ؟ صديقي أخى حليفٍ ضاهر ؟

ضاهر : قد سمعتُ الذي جرى ولمستُ الفضل والنبل والسجايا الطواهر

عزوتي — يدي ونفسي ومالي

في الذي شئت ما الذي أنت أمر

نحنُ ألفان يا أميري على الأرض

وألفان في مُتونِ الضوامر

ومعى مدفعاين من سلب الترك
وتل من السيوف البواتر
والمواشي كثيرة في ضياعي
والطريق الطويل بالخير عامر
كل شيء كما تحب مهيا
فمتى الظلم سيدي نر نساقر
على بك : غدا الظلم يا أخى قم تاهب
إنما الغنم للخنيف المبادر
ضاهر اسمع هنالك في مصر

ماذا ؟

ضاهر :

أهبة يا أخى وجيش مناصر
على بك :
من صحابي المشردين وأتباعي ومن كل حافظ العهد ذاكر
إن جمعنا إليه جيشك سرنا وأخذنا محمداً أخذنا قادر
وانزعنا البلاد من قبضة

الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

آن أن تُنقذ البلادَ فإذا أنت راء

ضاهر : هَمَّ والجيشُ حاضر

على بك : حاضرٌ ؟ فلنسيرَ إذن

الضاهر : بعيون الله في حفظه بأيمن طائرُ

ثم يصبح : عَرَبَ الشامِ تلكَ مصرُ دعتكم

جِعاة من عرب الشام : أَلْفَ لَبِيَّكَ مصرُ لَبِيَّكَ ضاهر

« ————— تار »

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — في سرادق محمد بك أبو الذهب بالصالحية »
 « حيث دارت رحى الحرب بينه وبين علي بك ، في الوجه محمد بك »
 « راقده على سرير وعثمان الجاسوس التركي يكبس قدميه ، في أحد »
 « جوانب السرادق جماعة من البكوات يتحدثون ويلعبون الشطرنج »
 « في الجانب الآخر خادمان مصريان مشغولان بتنظيف ملابس »
 « محمد بك أبو الذهب »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصت أصغ للحق المبين
 نحن في أيام جهل وبلاء وجنون
 نحن فوضى من مراح الشاة للخدر المصون
 في زبون من حروب الأهـل في إثر زبون
 ورؤس في الصواني نزعـت منها العيون
 وعزير هات ما كان بـال أن يهـون
 أصبح الناس على الوادى بلا دنيا ودين
 حركات كالسكون وحياة كالمـنـون

وقفَ الحاكِمُ من كل رخيصٍ وثمينٍ

مثلَ ما قد وقفَ الدائن من مالِ المدينِ

وشريكِ الشعبِ في كدِّ يديه والجبينِ

وشريكاً في الأواني وشريكاً في الصحونِ

الآخر : يا شيخُ هذا بلدُ

من سلفٍ وكلفٍ ومن نكوسٍ وفردِ

وكلَّ يومٍ مطرٌ ومن الضرائب الجددِ

وتلدُ الفردةُ ما لا يعلمون من ولدِ

على الحمارِ فردةٌ وفردةٌ على التودِ

وفردةٌ على الاجسامِ وهو حبلٌ من مسدِ

وفردةٌ على برادعِ الحصيدِ واللبسِ

مستمراً : يا شيخُ لى نَجْيةٌ غرامى وكل همى كانا إليها

الأول : ما صنعت ما الذى دهاها

الثانى : قد ضربوا فردةً عليها

فضقتُ ذرعاً بذاك حتى ذبحتُ شاتى وطفيلتيها

الأول : ما قد دهاك دهاني
 أتيتُ بطنطا لشغلي
 خرجتُ منها مع الليل
 فمرّ فوق طريق
 أغا عليه سلاح
 فصاح بي قفّ ترجّل
 ومثلُ شأنك شاني
 وكانت تحتي أتانى
 مُسبلاً طيلسانى
 من لا أرى ويرانى
 فى صورة الشيطان
 لقد سرقت أتانى

الثانى : وما جرى ؟

الأول : قلتُ له
 فقال ذاك أميس
 بل هلى وحدى فداء
 ثم رماني بيد
 ثم اعتلى ظهر الأتان
 بل الأتان لى أنا
 إلا أنّها اليوم لنا
 هلى وامض من هنا
 كأنها كفّ النمر

الثانى : ثم ؟

الأول :
 حتى سمعت هدة
 لكن لم يسر
 وصرخة من النهر

وأَبْصَرْتُ عَيْنِي وراءَ الليلِ آيةَ القَدَرِ
 حمارَتِي تَجَبَّرَتْ مثلَ تَجَبَّرَ البَشَرِ
 فأغْرَقْتَ رَاكِبَهَا وغَرَقْتَ على الأَثَرِ

مِمِيش بك لعثمان بك : في تهكم واستهزاء

لقد رأيتُكَ ضَحَى اليومِ تَجِي من الجَبَلِ
 فوق حصان كالغزال رقةً وكالحَمَلِ

عثمان بك في غضب :

كذبتُموا قد كُنتَ تحتَ سَيدِ الخيلِ بَطَلِ
 لا حَمَلٌ ولا غزال هو لكن الوَعَلِ
 كالأفْهوانِ في السَّحابِ والشَّهابِ في القُلَلِ

مِمِيش بك : وقد تمايلتَ على السَّرجِ تمايلَ الثَّمَلِ

وقد تدلَّى بطنُكَ الضَّخْمُ عليه وانسدَلِ
 كأنَّكَ المَحْمَلُ والحِصَانُ تحتُكَ الجَمَلُ

عثمان بك : مِمِيش عبتَ حصاني ولم تدع لي اعتباراً

هذا جزاؤك عندي خذ هالك مني عياراً

« ويطابق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

ملكي

عثمان بك :

قد كان من حزب علي

لا ترع

محمد بك :

اليوم ما كان يلي

كفيتنيه فتول

هيوا اذهبوا بالرجل

هيوا احموا جثته

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

خدمتُ الا دولتي

خدمته والله ما

عثمان لنفسه :

كبتُ الا حاجتي

كبسته والله ما

ما أنا خادم الغبي

خادم تركيا أنا

صُدرتي وذهب

كم من حريري نواحي

شرطي ورُتبتي

هاتيك ألقابي وتلك

وطاعة النبي

مما بلغت في رضا الله

طين السيوف القضب

وتحت أعلام السلا

أنزوي وأختي

أقت في مصر سنين

على بك م — ٧

وَأَنَا حِينًا مَاهِنٌ وَأَنَا أَحْيَانًا مَسِي
أَرْمِي أَخَا عَلَى أَخٍ وَأَصْدَمُ أَبْنَا بَابٍ
لَمْ آلْ حَكَمَ الْغَزَى جُهِدَ الْبَاحِثُ الْمَنْقَبِ

« يَفِيْقُ مُحَمَّدٌ بِكَ وَيَتَمَطَّى وَيَتَتَابِعُ »

محمد بك : مَاذَا يَقُولُونَ عِنْدَنَا فِي مِصْرَ يَا عُثْمَانَ

عثمان : عَهْدَ الْأَمِيرِ رِخَاءً وَغَبْطَةً وَأَمَانًا

فَمِصْرُ رَاضٍ بِنُوحِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا لِسَانُ

يَقُولُ إِنَّ أَمِيرِي يُحِبُّهُ السُّلْطَانُ

محمد بك : وَالْأُمَرَاءُ أَمِنْهُمْ مُخَالَفَةٌ غَضَبَانُ

عثمان : الْأُمَرَاءُ جَمِيعًا بِيَابِكُمْ أَعْوَانُ

لَا يَذْكُرُونَ عَلِيًّا وَبَيْتَهُ مَذْ بَانُوا

فَمَا لِفَيْرِكَ صِيْتٌ وَلَا لِفَيْرِكَ شَانُ

محمد بك : صَدَقْتَ هُمْ حَيْثُ كَانَ الْجَدِيدُ فِي مِصْرَ كَانُوا

« يَقْبَلُ جُنْدِي وَيَقُولُ لِمُحَمَّدِ بِكَ »

مَوْلَايَ عِنْدِي أَخْبَارُ سَوْءٍ وَقَفَنَ فِي فِيٍّ فَهُوَ حَائِرُ

محمد بك : أنت رسول ؟

الجندي : أجل

محمد بك : فخبّر بينّ الأمّ القتال صائر ؟

الرّسل لا يُسالون عمّا بعد المناعى ولا البشائر

الجندي : مولاي

محمد بك : ماذا عجلّ تكلم

الجندي : دارت على جيشنا الدوائر

محمد بك : وما الذي كان من عليّ ؟

الجندي : أعين في أمره بضاهر

محمد بك : وفاز ؟

الجندي : في أول التلاقي بقوة الشام والعشائر

محمد بك : إذن هلكنا ؟

جندي آخر وهو داخل : لا يا أميري بل أنت ناج بل أنت ظافر

محمد بك : من قال ذا ؟

الجندي : شاهدا عيان

محمد بك : من أين ممّن ؟

الجندى : من العساكر

« يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صنية كبيرة »

الجندى : ها هما

محمد بك : مرحباً

الجنديان : عوافٍ حياة

محمد بك . أو جزاً

الجنديان . نحنُ موجزاتُ المقالا

هُزِمَ الجيشُ صَبَحَ أَمْسٍ وَلَسَكُنْ

عَادَ نَجْمُ الْعَدُوِّ ظَهَرًا فَلَا

فَحَمَلْنَا عَلَيْهِ حَمَلَةً صَدَقَ وَحَوَيْنَا الرِّجَالَ وَالْأَمْوَالَ

محمد بك لاعددهما :

زِدْ أَبْنُ

الجندى . ما قَصَّرَ الجيشانِ ضَرْبًا وَطَعَانَا

« يقبل البكوات »

محمد بك للجندى :

وابو مَيْلَة (١) ؟

الجندى : غشّى ساحة الحرب دُخاناً

أحد البكوات :

قد رأينا من هنا ظلمته واللمعانا

وسمعنا من هنا رجته والدوراننا

محمد بك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا
ومُراده؟

الجندى : كان كالليث لحاظاً وجناناً

شدّ بالزأرق والثبّة فى الحرب قوانا

كلما انهار حصان تحتة احتلّ حصانا

محمد بك : ثم ؟

الجندى : رمى بنفسه على على فى الرحى

محمد بك : ثم ؟

الجندى : تجسّالد فلم يدعه حتى جرحا

(١) مدفع من صنع واختراع محمد بك ابو الذهب

محمد بك : أين هو الآن

الجندي : على أثارنا على سريرٍ ليّنٍ مُظللٍ
يخدمه الناسُ ويُهَنُونَ به

كالراند المسهد المدلل

محمد بك همساً لعثمان :

عثمانُ هذا علويٌّ لا تنسَ رأسه غدً

محمد بك للجندي :

وما على الصينية من تحفٍ سنيه

تلك رؤوس شيعتيه . ومن سعى لنصرتِه . من بيتِه

« يأخذ الجيش في العودة من ميدان القتال في أزياء شتى بين »
« الضجيج المتواصل من الطبل والزمر ، وتقبل طائفة طائفة في »
« بخيمة محمد بك ، وكلما طافت به جماعة خرج اليهم الباشا »
« عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك : خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الدهب

خذوا املاؤا أيديكم من الشعاع المنس

الجماعة : سامت يا أبا الذهب وعشت تُعطى وتم

أخجل جودك السُحْب

الجيش والنظارة يهتفون معاً :

بنى الوادى قفوا حيّوا اللواء وغطوا الأرض ورداً والسماء
 رَجَوْهُمْ من وراء الحربِ نصرًا
 وهذا النصرُ بينَ يديه جاء
 هو الرمزُ المقدسُ فاتبعوه وموتوا فى القتالِ له فداء
 عليه ضجةُ الفرحِ ابتهاجًا بطلمعةِ الحبيبةِ واحتفاء
 كأن وراءَ هيكلكم خيالاً
 من الشهداء والجرحى تراءى

على قدم	حيّوا العلمُ
حيّوا الشعار	حيّوا الفخار
رمزُ الوطن	مجدُ الديار

القواد القادمين :

سـيـدى	فُزت	بـالْمُنَى	هو ذا الجيش قد رجَعَ
وهبَ	الله	نصره	للمريدِين والتَّبَع

وعلى وجيشه شبعَتْ منها الغنمُ
 ليس يُدرى أَمَات أم فى يدِ الجُندِ قد وقع
 محمد بك : أجل أرى الجيش اقترَبُ نشوانَ بالغِ الأربُ
 يرسل رنةَ الطربُ

فريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سلمت يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهبُ
 أخجل جودك السُحُبُ

جماعة أخرى من الجيش والنظارة يهتفون

يا عسكرَ النيلِ بالسلامه يا عسكرَ النيلِ بالسلامه
 ظفرتَ بالنصر كلَّ حينٍ وفُزتَ بالسزِّ والكرامه
 فى يومِ سلمٍ وفى قتالٍ وفى رحيلى وفى إمامي
 فما شهِدتَ القتالَ إلَّا رفعتَ للضفتينِ هامة
 أبلِيتُموا قادةَ وجُنداً بوركَ فى الجُندِ والزعامه
 قد شَيدَ اللهَ مجدَ مصرٍ والجيشُ من مجدِها الدعامة

جماعة آخرون :

هلمَّ خيَلِ الوطنِ تخايلى فى الرسنِ
اليوم أنتِ مطلقة حممةً وطقطقه

محمد بك ابو الذهب وينثر الذهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الذهب
خذوا املاؤا أيديكم من الشعاع المنسكبُ
جماعة : سامت يا أبا الذهب وعشتَ تعطى وتهبُ
أخجل ج——ودك السحب

بعد البكوات :

ملكى

ما جرى :

تأمل أسير :

سیدی من عواهل الشام كهلُ

محمد بك : من يسوق الرجال ضاهر الشامى

عانِ عليهِ قیدٌ وغلُ

« يدخل ضاهر بخطاه الجند »

محمد بك : ويحهم ذاك ضاهرُ ما لجندى
 قد غَوَوْا مالمقادة الجند ضلُّوا
 كثر الجندُ فى الحديد عليه
 وهو كالليث فى الحديد يُدِلُّ
 ويتقدم منه :

ما أرى ضاهرُ يُساقُ أسيرًا
 أنتَ من ذاك يا أميرُ أجلُ
 أيها الجندُ ضاهرُ صار لى ضيفًا
 فخلوا سبيلَ ضيفى خُـلُّوا
 من فلسطينَ أنتَ ضاهرُ أم من أرز لبنان أم لك الشام أصلُ
 ضاهر . كل هذا هناك مولاي أصلُ
 واحدٌ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
 عَرَبُ كُلُّنا ومنطقنا الفصحى
 وآباؤنا زرارٌ وذُهلُ

محمد بك لاجند :

ما صنعتكم بسيفه ؟

هو عندي

احدا لاجند :

هاته فهو محرم لا يحل

محمد بك :

» ويناوله السيف :

خذت قلد والله ليس لهذا الظفر
أنت خل للبائسين وفي وهو أيضاً لهم صديق وخل

ظاهر . لست أنسى لسيدى الفضل ما عشت

محمد بك . وهل فى رعاية الحق فضل

قد رددنا على السموم سيفاً

كان دون الوفاء أمس يمل

ظاهر . كيف أمشى فى الشام أوفى سواها

اللبس العز حين جارى يذل

ذاك سيفى فأين اكرام ضيفى

مالى اليوم غير ضيفى شغل

محمد بك : مَنْ عَلَى ؟

ظاهر : أَجَلٌ وَمَنْ كَهْلِيَّ مَلِكٌ مَالَهُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ
سَيْدِي قِيلَ فِي خِلَالِكَ بَرُّ

لَيْسَ يُحْصَى فِي سَجَايَاكَ نَبْلُ
قَدْ تَرَكْتُ الْأَمِيرَ فِي شِدَّةِ الْكَرْبِ وَغَادَرْتُ جَمْعَنَا وَهُوَ فُكْلُ
مَا الَّذِي أَنْتَ صَانَعٌ بَعْلِي ؟

محمد بك : غَايَةُ الْخَيْرِ فَهُوَ لِلْخَيْرِ أَهْلُ
هُوَ فِي قَصْرِهِ كَأَمْسِ الْفِدَى

بَيْنَ أَوْلَادِهِ الْأَمِيرُ الْأَجَلُ
ظاهر : أَسْرَوْنِي وَلَوْ بَقِيْتُ طَلِيقًا

محمد بك : مَا الَّذِي كُنْتَ صَانِعًا

ظاهر : كُنْتَ تَبَاوُ

كَيْفَ أَبْنَى اللِّوَاءَ حَوْلَ حَلِيفِي

وَأَرَمُ الصَّفُوفَ إِذْ تَضْمَعِلُ

محمد بك . بل سأتبقي بمصر ضيقاً علينا
مصرُ دارٌ للأكرمين وأهمل

ضاهر : ورجالي

محمد بك : سيليحقونك فيها لك عندى ولا مشيرة نزل

ضاهر لنفسه :

ذلك الغدر والماليك فيهم

من قديم الزمان غدره وختل

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بضاهر »

« يقبل مراد بك في جماعة من الجنود »

محمد بك : ما أرى ؟ ماترون ؟

أحد الحاضرين : هذا مراد

محمد بك : هو ذا جرّ ذيله إذلالاً

مراد بك : التحيات للأمر

محمد بك : مراد مرحباً مرحباً تعال تعالاً

مراد بك : ألف بشرى مولاي

محمد بك : أهلاً وسهلاً أدن منى أعانق الرثبلا

« بعاقبه »

مراد بك : قد باخت الآمال

محمد بك : لم لا وما علقتُ الا بسيفك الآمالا

كيف كان القتال ؟ أين ؟ تركت الجيش

مراد بك : خافي مظفراً مختالاً

بعد حينٍ يَمُرُّ من ههنا الجيشُ على سيدى رجالاً رجالاً

محمد بك : وعلى ؟

مراد بك : تركته في يد الأسينَ قد ناء بالجراح ثقلاً

بعد حينٍ يأتى به الجندُ محمولاً مُسجى إذا استطاع انتقالاً

« جماعة من الجند يتقنون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهب

أخجل جودك السحب

« يخرج محمد بك في جماعته لتحييتهم »

« في هذه الاثناء يتقدم مصطفى اليسرجى جريحاً من مراد بك زاحفاً على الارض »

مراد بك : يا لعجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجى

مصطفى اليسرجى : اليسرجى مصطفى

مراد بك: أنت الذى برزت لى من ساعةٍ
مصطفى: أجل لألقى من حُسامِك الردى

مراد بك: لقد جُرحت من يدي لِمَ لِمَ تَمُتُ
مصطفى: إني أَحِسُّ أَجلى الآن دنا
مولاي لا تقطع حديثي وانتظر

عجائبُ الحياةِ فوقَ ما تَرى
مراد بك: وهل عجائبُ الحياةِ غيرَ ما يجرى هنا الآن؟
مصطفى: أجل وما جَرَى

مراد بك: فمُتْ إذن وأَعْفِنِي
مصطفى: لا بل أقمْ
واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا

مراد بك: سرٌّ؟

مصطفى: أجل وقد ينالك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ معاً

مراد بك: إذن فقم إبقِ تأخر ساعةً
قل مالديك ثم مُت كيف تشا

مصطفى : أهكذا ربّاك جافٍ خشنٌ
 من المماليكِ مُضَيِّعُ الوفا
 ليتك عشتَ راعياً في وطنٍ
 مُهذَّبِ الفتيّةِ صالحِ النِّسَا
 مراد بك : دَعُ الفُضُولَ واحترس يا مصطفى

أنتَ غيبيٌ لستَ تدري من أنا
 أما كفاك أُمسٍ أنْ أخَرْتَنِي
 أنا وقدّمتَ عليّ فاشترى
 مصطفى : أنتَ تُحبُّها ؟

مراد بك : أجل
 مصطفى : أنتَ ؟
 مراد بك : أجل

مصطفى : حَذَارٍ يا مرادُ من هذا الهوى
 مراد بك مضطرباً :

ولمَ ؟ وما آمالُ ؟ أهنيَ من دمي ؟ أم هي لحي
 مصطفى : هي والله هُما

مراد بك : أختي ؟
 مصطفى : أجل أختك

مراد بك : يالِ ولها من هول ما كنتَ عليه مقدماً

مصطفى : مرادُ أنتَ في صعيدي واحدٍ
ضربتُ بالسيفِ المُرَبِّيَ والأبَا

مراد بك : ومن أبوها وأبي أنت ؟

مصطفى : أجل أنا الذي باعَ الفتاةَ والفتى

أنا الشقيُّ بائعُ ابنِيهِ

مراد بك : أبي ما بعْتنا الالندركَ الغنيَّ

مصطفى : مرادُ أدركني

مراد بك : فذاك يا أبي

رُوحِي وإن قلتَ لك الروحُ فدي

مصطفى : انظر مرادُ أنا في النزعِ وما يُغني المُفدُّون إذا النزعُ أتى

سُقتُ لك الرقَّ وسُقتَ الموتَ لي

والرقُّ والموتُ على حديدٍ سوا

مراد بك : أعفُ أبي عني أتعفو يا أبي ؟

مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عفاً

بل اعفُ أنتَ يا مراد عن أب

بائعك طِفلاً كبدِيعَةِ الدُمى

ما رَحِمَ السَّمْعَ بِعَيْنَيْكَ وَلَا
 رَقَّ لَكَ الْبُكَى وَلَا رُثِيَ
 مراد بك: وَأَاسْنِي وَأَاندَمِي أَبِي عَلَيْكَ هَلْ غُمِي
 أَفَقِ أَبِي تَكَلَّمْ

مصطفى: مرادُ لَا يَقْوَى فَمِي
 « ويموت مصطفى »

مراد بك: ماتَ اتَّهَى رَبِّ ارْحَمِ
 « مراد بك يلقى عليه عباءة » ويركع باكياً «

تدخل آمال فيلمحها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال اختيا أَجَلُ أَجَلُ هِيا
 لَا كَفِينَهُمْ تَلَا الضَّوَارِيا

آمال لنفسها :

مَا لَهْ مَضْطَرَبًا يَرْمُقُنِي بِالرَّضَا حِينًا وَحِينًا بِالْغَضَبِ
 مَا بِهِ ؟

مراد بك: آمال

آمال : مهلا سيلي ادعني حِينَ تُنَادِي بِاللَّقَبِ

مراد بك: اسمي آمل أختي

آمال لنفسها : أختي ؟

رد : من أين متى هذا النسب

ثم لمراء بك :

كيف من نباك

مراد بك : نبائي أي أننا يا أخت من أم وأب

آمال : وأبي؟ أين أبي؟

مراد بك : أين مخي ؟ هو هذا جثة

آمال : مات أبي

مراد بك : احمل الجثة يا أخت معي هي نحجبها هلم نحجب

آمال بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها :

حنانيك ربي أبي رمة يمر عليها التراب الخشن

أبي كيف صرت وراء التراب

إلى جسد بالبي مرتين

أبي ما لأذنك قد أبطأت وكنت إلى سريع الأذن

وما بال خطي منك الصدود وكان نصيبي اللقاء الحسن
وأين يدٌ سمحةٌ طالما مسحت بها عبرات الهتن
أحقُّ أبي دهمتك المنون

أجل وجرت فيك كبرى السنن
ذهبت كما ذهب الأولون قتيلا الحياة جريح الزمن
مراد أخى

مراد بك: أخت لا تحزنى فإذا يرد البكا والحزن
آمال : أحقُّ أخى انه قد قضى وأنا فقدنا الذرا والرُكن
قضى فى معارك لم يجنِّها

غريب التراب غريب الوطن

ثم مخاطبة الجثة :

تمنيت أنى أقيك الردى بنفسى ومن يدفع الموت من
وأجعل غسلك ماء الشئون

وأصنع من هذب عيني الكفن
واختط بين حنايا الضلوع صيوانا ولحدا لهذا البدن

جُعِلَتْ الْفِدَا لَكَ مِمَّا دَهَاكَ وَبِمَنْ رَمَاكَ وَمَنْ طَعَنَ
وَلَيْتَ جِرَاحُكَ بِي يَا أَبِي

مراد بك: رويدك أخت أجلي الشجعن

ولا تُكثِرِي حَسْرَاتِ الصَّدِيقِ

ولا تُشْمِتِي الْكَاشِحَ الْمُضْطَهِقَ

آمال: وكيف مراد وهذا أبوك لقي في التراب كأن لم يكن

« يخرج مراد بك وآمال بالجنة »

« يؤتى بك بجروحاً محمولا على سرير من جريد فيوضع في ناحية من الساحة »

على بك لنفسه :

ويحي تفرّق عسكري وخيامي

وطوى الزمان ورَيْبُهُ أعلامي

أُحْتَالُ وَالْأَحْصَادُ تُفْسِدُ حَيَاتِي

وأرومُ والأَيَّامُ دون مرامي

لما طَوَتْ مُلَاكَ الْكِنَانَةِ رَاحَتِي

لم يكفني فطلبتُ مُلَاكَ الشَّامِ

صيَّرتُ حربَ التُّركِ وجهَ سياستِي
 حتى اقتنيتُ عداوةَ الأُقوامِ
 وكفرتُ أحسانَ الدينِ خدَمَتَهُمْ
 حتى تجرَّأُ خادمي وغلامي
 في الصَّالحيةِ مالَ صرُحِ سَطايعِي
 وكذاك ركنُ بنايةِ الأوهامِ
 النصرُ غابَ وكان طافَ برايتي
 حينًا وحامٍ على شِباكِ حسامي
 وحُمِلتُ في سُرُرِ الجريدِ ببلدةٍ
 وطُتُّ جواهرَ عرشِها أقدامِي
 قد عشتُ بالدنيا المريضةِ حالماً
 حتى انتهتُ فلم أجد أحلامي
 دنيا أردتُ من العروشِ حُطامَها
 جعلتُ سريرَ القشِّ كلَّ حُطامي

بالأمس جللتُ الترابَ مواكبي
 واليومَ لا خلاني ولا قداحي
 اليومُ أرسفُ في دمي وجراحتي
 وغداً أجبرُ منيَّتي وحمالي
 أنا قد جعلتُ الغزَّ مهبطاً نعمتي
 وخصَّصْتُهم بمنازلِ الأكرام
 فلُدغتُ من صليبين منهم عقبي
 هذا وذاك أضاعَ حقَّ زمامي
 وتتابعُ الأمراءُ في أثرهما
 يستمرؤونَ عداوتي وخصامي

يقبل محمد بك أبو الذهب في حاشيته :

محمد بك أبو الذهب :

يا ويحَ لي ماذا أرى هذا أبي وسيدى
 سـيـيـمُ المـغـرى به كيف عقابي في غدٍ

ويتظاهر بالأسف ويتقدم للاقاة الجريح :

محمد بك ابو الذهب :

يا أسفا على عليّ يا أسفا
على أبي وسيدى وموئلى
يا أسفا على الكريم المُفضل

أحد البكوات همساً :

ماذا يقول ؟ سيّدُهُ
شأت يده شأت يده

على بك ل محمد بك :

محمد اسمعُ مرادُ غادرُ
اقض عليه وأنتَ قادرُ
محمد بك : لا بل تعيشُ سيدى
وبيدك تقته

محمد بك : سيدى انسَ اليوم وافكر فى غدٍ

على بك : ليسَ للمغلوبِ غيرَ الذلِّ غدُ

محمد بك : بل غداً تبرأ من جرحك

على بك : لا قلماً قام من الجرح الأسدُ

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئبُ جربَ فى الربى ظفَرَه فأصابه

لا تحوِ دارك أرقاً حتى تُحطّمَ نابه

محمد بك لاهلي بك :

أبي وأميري كفي سوء ظنّ
 محمد نلّ كلّ ما شئت منّي
 ومالي الوُملك والسمُّ فني
 أخذت الخيانة والفـدر عني

« محمد بك يبتعد في حاشيته فيخلط بالاسماء الآخرين »

على بك وقد لمح آمال وسراد بك قادمين :

أرى ويح لي ماذا أرى ؟

توالت جراحاتي وطال عذابي

مراد وآمال . عدوي وزوجتي

فيا زمني هل من جديد مُصاب

يُـذُنّي يا رب أني أراها

قد اختلطت من جيئة وذهاب

إذن هي تهوى النذل وهو يُحبها

إذن ليس ما خبرته بكذاب

إِذْنُ فَرَادُ لَمْ يَثْبُ بِى وَحْدَهُ

وَلَمْ يَفْتَحْهُمْ سَتْرَى وَيَسْطُ بِيَابِى

وَلَكِنْ أَعَارَتْهُ الْخَبِيثَةُ نَابَهَا وَمَا فِى ذُرَاهَا مِنْ تَقِيْعٍ لُغَابِ

أَجَلٌ هَدَمَا عَشَى مَعًا وَتَعَاوَنَا

عَلَى تَلَمِّ مَحْرَابِى وَهَتَكَ حِجَابِى

آمال لنفسها :

الْهَى أَعْنُ زَوْجِى وَبُلَّ جِرَاحَهُ

فَمَا بِالْهُ مُسْتَوْفِزًا لَعْتُ ————— ابِى

رَمَانِى بَعَيْنِ قُلَّبِتْ عَنْ كَرَاهَةٍ

وَعَنْ نَظَرَاتِ كَالشَّرَارِ غَضَابِ

تُرَى ظَنِّ بِي سَوْءًا تُرَى ارْتَابَ فِى أُخَى

فَفَكَّرَ فِى جَرْمِى وَكَيْفَ عَقَابِى

لَهُ الْعُدْرُ فِى حَالِ أَضَاعَتْ صَوَابَهُ

فَانِى أَنَا الْآخِرَى أَضَعْتُ صَوَابِى

وتقدم من على بك :

سیدی مولای

علی بك : مَنْ ؟ أَنْتَ ؟

آمال : أَجَل

علی بك : أُعْزِبِي عَنِّي خَلِّينِي أُعْزِبِي

الأقاويلُ إذن صادقةُ الرواياتُ إذن لم تكذب

آمال : ما أذاعوا سیدی ما نقلوا ؟

علی بك : خـ بَرَوْنِي امْرَأَتِي تَمَبْتُ بِي

آمال : مَعَ مَنْ أُعْبِتُ مَعَ هَذَا الْفَتَى ؟

مَعَ شَقِيقَتِي وَابْنِ أُمِّي وَأَبِي

علی بك لمراد بك :

مرادُ

مراد بك : مولای

علی بك : اعْزُبِ لَا بَلْ تَعَالَ اقْتَرِبِ

مراد بك : أَبِي

علی بك : سَوَّالٌ يَا فَتَى أَصْغَرَ إِلَى أَجِبْ

مرادُ كُنْتَ لَا تَرَى غَيْرِي فَمَا غَرَّكَ بِي

أنتَ الذي اشتريتهُ
ولم أقصّر معه
مراد بك : مولايَ خلتني إلى
أعفُ فأنتَ أهلهُ
بفضتي وذمّي
عن واجب المؤدّب
ضميري المذنب
هب لي جرائمي هب

على بك : مرادُ

مراد بك : مرُ

على بك : أوصيك خيراً
أما تراها أصبحتُ
بالملاك الطيّب
من غير زوجٍ وأبٍ

ثم مستمراً : مرادُ بنيَّ أصيخُ أصيغ لي
مراد بك : تكلم أبي هاتِ قل سيدي
على بك : بناء المماليكِ وهي الأساس
وضيقتهم بعد طول الآباءِ
إذا فسَدَ الخلقُ في أمةٍ
وصاحبُكم ذهبَتِ نفسهُ
يحبُّ النساءَ ويهوى الطعامَ
بفضل التعاونِ سُدنا البلادَ
تعلم من الناهبين استفد
وبيّن كدأبك سبيل الرشد
وسلطانهم مضمحلُّ العمد
عوى الذئب فيها وصاح الأسد
فقل كلُّ شيءٍ لهم قد فسَدَ
فكلُّ عنايةٍ بالجسد
ويبنى القصورَ ويغني الولد
ولولا تعاوننا لم نسد

اذا قام بان الى غاية
 وأولع بالنسبة الماملين
 فلم يترك واحد منهم همّة
 يمينا مراد لما في البلاد
 يلم الممالك من فرقة
 ويرجع للطاعة المارقين
 فشيب بالغبي غداً ثب به
 تعثر بالهادم المجتهد
 رجال كسالى منذو بالחסد
 وفضلا لا خسر الاحقاد
 سواك يليق لحكم البلاد
 ويوقظ من حزمهم مارقد
 ويكسر من شرقة المستبد
 وقم أنت فاحم الحمى بعد غدا
 « ويغنى عليه »

مراد بك : ويح المجد حل بالماجد المور

ت وأخني على الكريم الحمام
 رحمتاه له مضى وتولى
 آمال : مات لا يا مراد قل هو حي

قل أخى تلك ضجعة ومنام
 فرحى يا على ما أنت راء
 فرحى مثل يوم نحر عليه
 ضجعت الحادثات فيه بكبش

فجمع الشرق فيه والاسلام

قدأصبنا من العيون كالانا أدركتني وأدركتك السهام
أحد البكوات لآخر:

أرأيي أسمعتم جرأة
ماله استهتر في موقفه
انظروا فهو عليها مُقبل
تركا المقتول لم يكثرنا
أترى يطمع أن يخلفه
آمال وتلفت حولها :

مراد أخى

مراد بك : لبيك آمال

آمال : مالنّا رمتنا عيون القوم من كل جانب

وإني لشكلى مرتين وما درّوا

تولّى أبى عنى ولم يبق صاحبي

مراد بك : كذاك فضول الناس شغل بحاضري

كما قد شغلناهم وشغل بغائب

ومن السن تجرى بسوء وهمها

فوائد عند الغير أو في مصائب

آمال : صدقت مرادُ انظر تأمل فضولهم
 لقد رمقونا بالسيوفِ الشواغبِ
 يَرَوْنَ عَجِيبًا أَنَّنَا ههنا معًا
 وأنتك تمشي يا أميرُ بجاني

احد البكوات يتقدم :
 مرادُ من الحسناء

مراد بك : ما أنت ما الذي
 يهْمُكَ من أمرِ الحِسانِ الكواعبِ
 « ثم لآمال :

أأبصرتِ يا أختُ الفضوليَّ
 أختُه عَجِيبٌ فلم نعلمْ له من أقاربِ
 البك لنفسه :
 « لمراد بك وأين ترى كانت ومن ذا أتى بها ؟
 روايةٌ غاوٍ أو مقالةٌ كاذبٌ
 « مراد بك يهيم ويلطمه بيده لطمه شديده »

آمال لمراد بك :
 ترفق أخى سامحه

البك لنفسه : تدعوه يا أخى
 اذن لم يكن فيما رواه بلاعب
 على بك م — ٩

مراد بك : تعلم إذن أن الفضول وقاحة

وأن عقابي عنك ليس بهازب
البك : وأنت تعلم أن سيفي منية^س وغدارتي محشوة بالمعاطب
مراد بك : وقوسك

البك : قوسي ليس يخطئ سهمها
مراد بك : ورشك

البك : مثل الأفموان الموائب
مراد بك : وقلبك إني لا أرى القلب حاضرًا على أنه أمضى سلاح المحارب
وإلا فذا صدرى فضع فيه ما تشا

وسدد إليه ماضيات المضارب
البك : وكيف اجترأ سيدي وابن سيدي

معاذا أياديكم معاذ الموهب
مراد بك : إذن خل شأنينا ولا تشتغل بنا

وطرف في فضاء الأرض ذات المناكب
آمال : مراد أخى

مراد بك : آمال هذا محمد

يلاحظنا في الجمع لحظ المراقب

ولا بدّ من إنباءه بالندي جرّى

آمال : وما ضرّ سرّ قابله كلّه خاطب

محمد بك يقترب ويقول :

مراد أرى شغباً واسمع ضجة

بني أهذا موضع للتصاحب

ونحن على موت وحول جنازة

وفي مأتم فخيم وشيك المواقب

مراد .

مراد بك : أميري

محمد بك : تلك والله ريبة

مراد بك : تفضل أميري واستمع ثم عاتب

محمد بك : أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحام المناكب

مراد بك : بلي يا أميري وهي أختي

محمد بك : أخته حنانيك ربّ تلك إحدى العجائب

مراد بك : أجل سيدي أختي اجتمعنا من النوى

على قدر من صنعة الله غالب

ولم ندر قبلَ اليومَ أنا قرابةً
وأنا التقينا في كريم المناصد

محمد بك : ومن قال للصنوينِ هذا

مراد بك : أبوها

محمد بك : وما هو من ؟

مراد بك : بعضُ التجار الجوالِ

محمد بك : وأين فادعوه فأعلى محله

وارفعه وابنيه فوق الكواكب

مراد بك : تعيشُ وتبقى مات

محمد بك : مات أبوكما

مراد بك : أجل هو ذا يدمي وراء المصائب

محمد بك : جريحٌ ؟

مراد بك : أجل لكن قضى من جراحه

محمد بك : قتيلٌ ؟

مراد بك : أجل ثاوٍ وراء السبابِ

محمد بك : وما تصنعان الآن

مراد بك : ما أنت أمر
 محمد بك : هنا لك حراسي وثم ركابي
 فخذها الى الفسطاط حتى تجي بها
 الى قصرها مخوفة بالراغب
 وبعده غدير تجرى على القصر نعتي
 ويأتيه برّي كالغيوث السواكب
 آمال وهي منصرفة :

وداعاً أبي

محمد بك : صبراً جيلاً أميرتي
 ولا تفعل فعل البواكي النوادب
 آمال : عفا الله عنه كان شيخاً مصلياً
 محباً اليتامى راغباً في المشاوب
 لقد طلب الدنيا بمصر فنالها
 فولّى الى الأخرى وجوه الطالب

« ————— تار »